

تَحْتُ حُجْرَةِ الْبَاطِلِ وَبَرْدُهُ بَادِلَةُ الْحَقِّ الذَّابَّةُ عَنْ صَاحِبِ الْبُرْدَةِ

يا أكرم الخلق مالى من ألوذ به
فإن من جودك الدنيا وضررتها
سواك عند حلول الحادث العمم
و من علومك علم اللوح و القلم

للعارف بالله تعالى

سیدی داود بن سلیمان النقشبندی البغدادی

تحقیق

العلامة الشيخ السيد عبد الرزاق النقشبندی البغدادی

نحت حديد الباطل وبرد بأدلة الحق الذابة عن صاحب البردة

يا أكرم الخلق مالى من ألؤذ به سواك عند حلول الحادث العمم
فإن من جودك الدنيا وضرتها ومن علومك علم اللوح والقلم

للعامة الشيخ داود بن سليمان
النقشبندى الخالدى الشافعى

تحقيق

السيد الفاضل : عبد الرزاق النقشبندى الخالدى
رضى الله تعالى عنهم أجمعين

الناشر

دار جوامع الكلم

١٧ شارع الشيخ صالح الجعفرى - الدراسة - القاهرة

ت : ٥٨٩٨٠٢٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة الناشر

وصلى الله تبارك وتعالى على سيدنا محمد وآله دائماً أبداً سرمداً
دع ما ادعته النصارى في نبيهم واحكم بما شئت مدحاً فيه واحتكم
الحمد لله رب العالمين القائل فى كتابه الكريم ﴿ وَكَذَلِكَ
جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾ « البقرة : الآية ١٤٣ »
والقائل أيضاً فى كتابه العزيز ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرِ
الْحَقِّ ﴾ « المائدة : الآية ٧٧ » .

وصلى الله تبارك وتعالى على سيدنا محمد وآله وسلم القائل فى
حديثه الشريف : « ما بال أقوام يطعنون فى علمى ؟ فوالذى نفسى
بيده ، لا تسألونى فى مقامى هذا عن شىء إلا أخبرتكم به » والقائل
أيضاً فى حديثه الشريف : « مامن شىء لم أن أريته إلا رأيتُهُ فى مقامى
هذا . حتى الجنة والنار . »

من المعلوم بل من المسلم به أن رسول الله سيدنا محمد صلى الله
عليه وعلى آله وسلم قد ميزه خالقه وسيده بخصائص ظن من لا علم عنده
من أصحاب العقائد الفاسدة أن فيها تخليطاً بين مقام الخالق سبحانه وتعالى
ومقام المخلوق ورفعاً لمقام نبينا إلى مقام الألوهية .

سبحان الله هذا إثم وبهتان عظيم لأنه سبحانه وتعالى يُعطي من
يشاء تفضلاً منه لمن أراد إظهار فضله ورفع مقامه .

ولقد قيض الله سبحانه وتعالى لهذا الدين رجال تنجلي بهم كل

فتنة سوداء، خصهم سبحانه وتعالى بالعلم والمعرفة ونور البصيرة، قال تعالى ﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ .

منهم العالم الكامل الفاضل سيدي داود بن سليمان النقشبندي فقد أجاد وأفاد . وجال وصال في رده على ذلك النجدي الذي اعترض علي بعض أبيات نيرات وردت في بردة الإمام البوصيري . وضاق صدره بها وقل علمه في فهم مراد الناظم . وهكذا أهل الله تعالى آتاهم الحق بسطة في العلم ورجاحة في العقل ، فإذا نظروا نظروا بنور الله وإذا تكلموا نطقوا بعلم الله ، قال تعالى ﴿ آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا ﴾ فسبحان العاطي الوهاب .

فهل ظن من لا علم عنده أن هناك تعارض بين قوله عز وجل : ﴿ قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ ﴾ وبين قوله صلى الله عليه وآله وسلم : « أنا أول شافع ومشفع » ؟

وهل ظن من لا عقل عنده أن هناك تعارض بين قوله تعالى ﴿ قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ ﴾ ؟ وبين قوله تعالى أيضا : ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ﴾ إلا من ارتضى من رسول ﴿ .

وهل ظن من لا إيمان عنده أن هناك تعارض بين قوله تعالى : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ﴾ وبين قوله تعالى أيضا : ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ ؟

فشفاعه رسول الله هي من عند الله سبحانه وتعالى .

وعلم غيب رسول الله هو من عند الله سبحانه وتعالى .

وهداية رسول الله هي من عند الله سبحانه وتعالى .

وماذا يقول هذا المعارض علي قول الرجل الصالح الذي عنده علم
من الكتاب والوارد قصته في سورة النمل ﴿ أَنَا آتِيكَ بِهِ ﴾ ألم يلحظ
كلمة ﴿ أَنَا ﴾ الواردة في هذه الآية وما فيها من المعاني والدلالات .

نسأل الله أن يفتح مسامع قلوبنا لبديع معاني كلامه سبحانه
وتعالى .

وصلّى الله تبارك وتعالى على سيدنا محمد ﴿ سُبْحَانَ رَبِّيْ هَلْ
كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا ﴾ .

دار جوامع الكلم

شهر الله المحرم - عام ١٤٢٥ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم
 الحمد لله الذي اعطانا من خلق الايمان برّده واذاق اذواقنا
 من رائق شرابه برّده ومن علينا بفقد عقابيد قلوبنا على
 الناس شفاعه جيبه في الدنيا والاخرة واعاد منكرها
 العادي فيها من الخيبة العظمى لصفقة خاسرة
 قد تكرر للبشر ضوء الشمس من رمد ونكر الفم طعم الماء
 من سقم والصلوة والشدوم على صاحبها الشافع الشفع
 ربي المقام المحمود المحفوظ له كل مقام بالاضافة الى منصبه
 الارفع

صفحة رقم ٢ من المخطوطة

الارفع الذي نوسل به آدم من دونه فتاب الله عليه ولا
نزع الخلائق حتى الرسل في الموقف المهول الا اليه فتشعب
به الطوائف كلها يومئذ ويتفزعون لادولها فانالها بعد
استماع اولي العزم انالها فبالادولها والله من نعمه فاشمل
جود هذا السيد المرحي وما اعلمه صلى الله عليه وعلى اله
واصحابه المارقين بسهم سهرم منه وبغضب غضبهم له
اهاب المارقين والطاعنين باسنة دلائهم السنية الطاعنين
اقا بعد فيقول الفقير الى سيد ومولاه والراجي شفاعته
نبيه فديناه واخراه داود بن السبلمان افدى البغادي
اظهره الله بالحجة البالغة على كل عاين الاعاري اتاني
سنة ثلث وستين وثمانين والفس من مكة المشرفة كتاب
كريم فيه بناء عظيم وهوان لبعض من اخذ العلم علينا من اهل
مجتد معه بردة المذبح التي هي برهم محبت لكل جريح مع

صفحة رقم ٣ من المخطوطة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة المحقق

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام الأتمان على خير الخلق
أجمعين سيدنا وشفيعنا وملاذنا يوم يقوم الناس لرب العالمين .

أما بعد ..

فهذا كتاب ينطق بالحق ، فيه البيان الشافي ، والردّ الوافي على
من طعن في بعض أبيات قصيدة ملأت الدنيا فرحاً وسروراً في قراءتها
وسماعها منذ خرجت من فم ناظمها عليه رحمة الله تعالى ورضوانه ، فكل
من سمعها وتدبر أبياتها وعرف معانيها ، تأقت نفسه لحفظها ، وتكرار
سماعها ، ولكن لم يحصل ذلك وما السبب فيه ؟!

إنها قصيدة ملئت أبياتها وحشيت بذكر الحبيب المحبوب نبي
الرحمة الشافع المشفع ، الذي ذكره يحيى القلوب وينعش الأرواح ، صلى
الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم .

فلا أعظم من أن يسمع المرء - بعد كتاب الله تعالى - سيرة وحياة
وأوصاف نبيه المحبوب صلى الله عليه وعلى آله وسلم .

لكن ذلك النسيم اللطيف ، وتلك اللحظات وإن طالت في
الاستماع أو القراءة في السيرة العطرة بشتى صورها ، لم تكن لتروق
لبعضهم ، فأسماعهم تشمئز من ذكر بعض المواقف والصفات العطرة
لجناب هذا النبي العظيم صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، فالتعليق
والاعتراض يطولان حتى يوصلا صاحبهما إلى إطلاق الكفر والشرك وهدم
أركان الإسلام ، وحلّ عقده ، وغيره من الألفاظ على من يقول أو يؤيد ما
تنفر منه أسماعهم وتبغضه قلوبهم .

هذا الفعل حصل ويحصل دائماً على بعض روايات السيرة النبوية ، وبعض الكتب المصنفة فيها ، ويلحق بها قصيدة « البردة » للإمام شرف الدين البوصيري فنحن نسمع على المنابر ، وعلى كراسى الوعظ والدرس ما تشمئز منه النفوس من قولٍ بشرك صاحب القصيدة ، أو أنه إذا قال في قصيدته :

ومن علومك علم اللوح والقلم ..

أنه ماذا بقى من علم الله إن كان النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم علمَ علمَ اللوح والقلم ، ومن يقول بمشابهة المصنف للمشركين في قولهم في أصنامهم عند قوله في قصيدته :

يا أكرم الخلق مالى من ألؤذ به ..

إنّا لله وإنا إليه راجعون ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .. إنَّ التكلم مع من هذا فكره ومنهجه ، ليس يجدى فى بيان الحق شيئاً ، بل قد يجر إلى مالا تُحمد عقباه ، فلن نطيل الجدل ، ولن نكثر من الأخذ والرد مع من فى قلبه مرض ، فقد رأينا أنَّ المؤلف العلامة الشيخ داود ابن سليمان قد كفى ووفى فى الردِّ وبيان الحق فى كتابه هذا ، ولكن أحببنا أن تكون مقدّمتنا لهذا الكتاب بياناً وترجمة لأئمة الدّين الذين رووا هذه القصيدة وأثبتوها فى كتبهم ، وسمعوها مع سماعهم للكتب العلمية ، واجتهدوا فى حفظها حفظهم لتون الفنون العلمية .

فممن رواها عن المصنف :

- ١) الإمام المُفسّر لكتاب الله العزيز أبى حيّان الأندلسى : محمد ابن يوسف بن على الغرناطى ، صاحب تفسير «البحر المحييط» .
- ٢) الإمام الحافظ محمد بن محمد بن محمد بن سيد الناس اليعمرى ، صاحب السيرة الشهيرة « عيون الأثر » .

٣) الإمام الفقيه سلطان العلماء عبد العزيز بن عبد السلام
السلمى، صاحب « القواعد الكبرى » .

٤) الإمام المحدث محمد بن جابر الوادى آشى .

أما من رواها من العلماء والمحدثين فمنهم :

١- الإمام الحافظ زين الدين العراقي .

٢- الإمام المحدث الفقيه عمر بن على المعروف بابن الملقن .

٣- الإمام المجتهد عمر بن رسلان البلقينى .

٤- الإمام الحافظ المحدث أحمد بن على بن حجر العسقلانى شارح
البخارى .

٥- الإمام المحدث الفقيه زكريا الأنصارى .

٦- الإمام الحافظ جلال الدين السيوطى .

وغيرهم ممن لا يحصون كثرة كما أشار العلامة الشيخ داود فى
مؤلفه هذا .

**بقى أن نذكر على سبيل المثال لا الحصر من سمع
« البردة » أو حفظها من الأئمة الأعلام .**

١- الإمام إبراهيم بن على القلقشندى = حفظها (الضوء اللامع
ج ١ : ٧٧) .

٢- الإمام إبراهيم بن على بن ظهيرة = سمعها على أحمد بن
إبراهيم الرشيدى (الضوء اللامع ج ١ : ٨٨) .

٣- الإمام أحمد بن محمد بن محمد الجخندى = سمعها على
العز بن جماعة (الضوء اللامع ج ٢ : ١٩٩) .

٤- الإمام عبد الرحمن بن أحمد بن فهد = حفظها و« الهمزية » .

- ٥- الإمام أحمد بن خليل بن ككلدى = سمعها على يوسف المشهدى (المعجم المؤسس ١ : ٣٦٣) .
- ٦- الحافظ ابن حجر العسقلانى = سمعها على محمد بن محمد الغمارى (المعجم المؤسس ٣ : ٢٤٦) .
- ٧- الإمام مجد الدين الفيروز أبادى = سمعها على العز بن جماعة (العقد الثمين ٢ : ٣٩٣) .
- ٨- الإمام محمد بن أحمد الفاسى صاحب « العقد الثمين » = سمعها على الفيروز أبادى .

وهناك من العالمات من سمعتها أو قرأتها ، فمنهنّ :

- ١- بيرم أحمد الديروية = كانت تحفظها مع « العمدة » و « الأربعين » (الضوء اللامع ج ١٢ : ١٥) .
- ٢- عائشة بنت أبى بكر المراغى = سمعت « البردة » على العز ابن جماعة (الضوء اللامع ج ١٢ : ٧٤) .
- ٣- ست الأهل بنت محمد بن فهد = سمعت « البردة » على أحمد المرشدى (الضوء اللامع ج ١٢ : ١٤٦) .
- فهل كل هؤلاء مشركون ، أو رضوا بالشرك والكفر على زعم الزاعم ؟ سبحانك هذا بهتان عظيم .
- اللهم نور بصائرنا وعقولنا ، وألهمنا رشدنا ، واحشرنا فى زمرة عبادك الصالحين غير خزايا ولا مفتونين ، وصلى الله وسلم وبارك على النعمة المعطاة ، والرحمة المهداة ، آمين يارب العالمين ..



« ترجمة المصنف »^(١)

هو العلامة الإمام داود بن سليمان البغدادي النقشبندی الخالدي الشافعي ، ولد رحمه الله تعالى سنة ١٢٣١ هـ في مدينة بغداد ، ونشأ في حجر والده وحفظ القرآن الكريم ، ثم قصر نفسه على العلم وطلبه حتى صار يقرئ الدروس وهو ابن ثماني عشرة سنة .

وقد كان من ذكائه أنه كان يحشى بعض العبارات من درسه وهو ابن خمس عشرة سنة .

ثم سافر بعد وفاة والده إلى مكة المكرمة وبقي فيها نحو عشر سنوات ثم رجع إلى بغداد وصار يدرس العلوم ويرشد العباد ، ثم سافر إلى الشام وبقي فيها سنتين ، وسافر منها إلى الحجاز ومن ثم إلى مصر ، ثم الموصل ورجع إلى بغداد وبقي بها حتى توفي .

له من المؤلفات :

- ١- أشد الجهاد في إبطال الاجتهاد (طبع) .
- ٢- صلح الإخوان من أهل الإيمان وبيان الدين القيم في تبرئة ابن تيمية وابن القيم (طبع) .
- ٣- المنحة الوهيبية في الرد على الوهابية (طبع) .
- ٤- مناقب المذاهب الأربعة
- ٥- دوحة التوحيد في علم الكلام .
- ٦- روضة الصفا في بعض مناقب والد المصطفى صلى الله عليه

(١) مصادر الترجمة : حلية البشر للبيطار ١ : ٦١٠ ، هدية العارفين ١ : ٣٦٣ ، معجم المطبوعات ١ : ٨١٤ ، الأعلام للزركلي ٢ : ٣٣٢ .

وعلى آله وسلم .

٧- رسالة في الرد على محمود الألوسي .

٨- مسلي الواجد .

٩- تشطير البردة

١٠- نحت حديد الباطل ويرده في أدلة الحق الذّابة عن صاحب البردة وله نسخة فريدة تم العثور عليها بحمد الله ، وهي من محفوظات جامعة كمبودج ، وبها تصحيفٌ وتحريفٌ كثير عملنا على تصويب ذلك من خلال المصادر المنقول منها .

توفي رحمه الله تعالى ببغداد قبيل المغرب ليلة عيد الفطر سنة

١٢٩٩هـ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة المؤلف

الحمد لله الذى أعطانا من خلع الإيمان بُردَه ، وأذاق أذواقنا من رائق شرابه بُردَه ، ومنّ علينا بعقد عقائد قلوبنا على التماس شفاعه حبيبه فى الدنيا والآخرة ، وأعاد مُكرّها العادى فيهما من الخيبة العظمى بصفقة خاسرة .

قد تُنكر العين ضوء الشمس من رمدٍ

ويُنكر الفم طعم الماء من سقم

والصلاة والسلام على صاحبهما الشافع المشفع ذى المقام المحمود الخفّوض له كلّ مقام ، بالإضافة إلى منصبه الأرفع الذى توسّل به آدم فمن دونه فتاب عليه ، ولا تهرعُ الخلائق حتى الرسل فى الموقف المهول إلّا إليه ، فتستغيثُ به الطوائف كلّها يومئذٍ ويتضرعون له ولها فأناها بعد امتناع أولى العزم أنالها .

فيا له ولها والله من نعمة ، فما أشمل جُودَ هذا السيد المُرجى وما أعمّه ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه المارقين بسهم سهمهم منه ، وبغضب غضبهم له ؛ إهاب المارقين والطاعنين بأسنة دلائلهم السّنية الطاعنين .

أما بعد ..

فيقول الفقير إلى سيده ومولاه ، والراجى شفاعه نبيه فى دُنياه وأُخراه ، داود بن سليمان أفندى البغدادى أظهره الله بالحجّة البالغة على

كل عادٍ من الأعادى :

أتانى سنة تسعة وستين ومئتين وألفٍ من مكة المشرفة ، كتابٌ كريمٌ فيه نبأٌ عظيم ، وهو أنَّ بعض من أخذ العلم علينا من أهل نجد ، معه بُردة المديح التى هى مَرهمٌ مُجربٌ لكل جريح ، مع تشطيرى لها الذى امتزج بها وزادها رونقاً وبهاء . فرآه بعض طغامٍ فى نجدٍ فأنكر بعض ما وجد فيها من التشفع وجدّ ، وأنه كتب بعضهم رسالةً ينتقص فيها من مقام صاحب الرسالة ، وأظهر فسالة كلامٍ يدعى فيه البسالة من اعتراضاتٍ على بعض أبياتها واهيةٍ وما أدراك ماهيه ؛ سَفافٌ وتُرّهاتٌ ، وعلى الجهل المركب دالّاتٌ ، ويدعى أنَّ صاحب البردة فى قوله :

يا أكرم الخلق ...

كفر ، وحصلت له الرّدة ، وأنَّ من : قرأها ، أو سمعها ، أو كانت عنده أو رضى به ؛ فقد كفر وتجاوز حدّه ، وأوجب بالقتل حدّه . فصار ذلك المُخبر لى بكتابه والمبدى مافى أوطابه ، يستنهضُ همّتى لردّ هذه الخرافات .

فقلتُ : عجباً ؛ هؤلاء الأرجاس ما شعبوا من كلّ الخرافات حتى ظهر منهم هذه الأيام ظاهرٌ ، يُثابِر على تقويم مُعوج بدعتهم ويُظاهِر .

فاستعنت الله تعالى على بيان رده وردّ إليه وإلى حزبه وجُنده ، لتقرّ بذلك عينُ محبى المصطفى صلى الله عليه وعلى آله وسلم ممّا راق من الأدلة القوية وصفاً ، فهى لَعمرُ الله لا تحتاج لِظهور فسادها ردّ ، ولا تُحسب شيئاً ولا تُعد .

ولكن تحاشياً عن دخول سَفاسفهم على بعض العقول ، ليدفع ما

يَتَقَوَّلُهُ هذا الخارجى بما تقوّل من أَوْضَح النُّقُول ، وسميتها : « نحتُ حديد الباطل ويرده بأدلة الحقّ الذّابة عن صاحب البردة » .

ولنقدم قبل المقصود ؛ ترجمة ناظمها وبيان فضله الشاهد بكماله المشهود .

قال ابن حجر رحمه الله تعالى فى « شرح الهمزية » [١٠٥ : ١] :
« وَإِنَّ أَبْلَغَ مَا مُدِحَ بِهِ النَّبِىُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ مِنَ النَّظْمِ الرَّائِقِ الْبَدِيعِ ، وَأَحْسَنَ مَا كَشَفَ عَنْ شَمَائِلِهِ مِنَ الْوِزْنِ الْفَائِقِ الْمُنِيعِ ، وَأَجْمَعَ مَا حَوَتْهُ قَصِيدَةٌ مِنْ مَآثِرِهِ وَخَصَائِصِهِ وَمُعْجَزَاتِهِ ، وَأَفْصَحَ مَا أَشَارَتْ إِلَيْهِ مِنْظُومَةٌ مِنْ بَدَائِعِ كِمَالَاتِهِ ؛ مَا صَاغَهُ صَوْغُ التَّبَرِّ الْأَحْمَرِ وَنَظْمُهُ نَظْمُ الدَّرِّ وَالْجَوْهَرِ ، الشَّيْخُ الْإِمَامُ الْعَارِفُ الْهَمَامُ الْكَامِلُ الْمُفَنِّ الْمُحَقِّقُ ، وَالْبَلِيعُ الْأَدِيبُ الْمُدَقِّقُ ، إِمَامُ الشُّعْرَاءِ وَأَشْعَرُ الْعُلَمَاءِ ، وَبَلِيعُ الْفَصَحَاءِ ، وَأَفْصَحُ الْبَلْغَاءِ الْحُكَمَاءِ ، الشَّيْخُ شَرَفُ الدِّينِ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ حَمَادِ بْنِ مُحَسِّنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ صَنْهَاجَ بْنِ هَلَالِ الصَّنْهَاجِيِّ الدَّلَاصِيرِيِّ ، ثُمَّ اشْتَهَرَ بِالْبُوصِيرِيِّ ، قِيلَ : وَلَعَلَّهُ بَلَدُ أَبِيهِ ، فَغَلَبَ عَلَيْهِ .

ولد سنة ثمان وست مئة ، وأخذ عنه الإمام أبو حيان النحوى ^(١) .
والإمام اليعمورى أبو الفتح ابن سيد الناس ^(٢) ، ومحقق عصره العزّ بن جماعة ^(١) ، وغيرهم .

(١) هو : الإمام أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف الغرناطي ، ولد سنة ٦٥٤هـ . له اليد الطولي في التفسير والحديث وتراجم الناس ، من أشهر مؤلفاته : « البحر المحيط » . توفي سنة ٧٤٥هـ (الدرر الكامنة ٤ : ٣٠٢) .

(٢) هو : الإمام الحافظ أبو الفتح محمد بن محمد بن محمد بن سيد الناس اليعمري الشافعي ، ولد سنة ٦٧١هـ . قال القطب الحلبي : إمام محدث حافظ أديب . من أشهر مؤلفاته : « عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير » توفي سنة ٧٣٤هـ (الدرر الكامنة ٤ : ٢٠٨) .

توفى سنة ست أو سبع وستين وست مئة على ما قاله المقرئى ،
لكن صوّب شيخ الإسلام ابن حجر العسقلانى أنّ وفاته سنة أربع وتسعين
وست مئة .

وكان من عجائب الدهر فى النظم والنثر ، ولو لم تكن إلاّ
قصيدته المشهورة بـ « البردة » التى ازدادت شهرتها إلى أن صار الناس
يتدارسونها فى البيوت والمساجد ؛ لكفاه شرفاً وتقدماً (٢) .

وأما من روى هذه القصيدة ، و« الهمزية » من العلماء الأعلام ،
ومصاييح الظلام ؛ فخلق لا يحصون ، منهم ما ذكره ابن مرزوق (٣) ، شارح
« البردة » بمجلدين كبيرين (٤) .

قال : وقد حصلت لى رواية هذه القصيدة ، من ذلك : أنى سمعتها
بقراءة الشيخ [العلامة] المحدث المكثر الحافظ شهاب الدين أبى العباس
أحمد الرشيدى المكي سنة اثنتين وتسعين وسبع مئة ، على الإمام العلامة
الشهير المكثر الرّحال المحدث الراوية ذى الفنون الغربية والتأليف العجيبة
مجد الدين الفيروزآبادى العراقى صاحب « القاموس » نزيل مكة المشرفة ،
وأخبرنيها عن الإمام العلامة قاضى القضاة عز الدين أبى عمرو عبد العزيز

(١) هو : قاضى المسلمين عز الدين عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم بن جماعة
الشافعى ، ولد سنة ٦٩٤ هـ . قال الإمام السبكى : كان كثير العبادة ، كثير الحج
والجأورة ، من أشهر مؤلفاته : « هداية السالك إلى المذاهب الأربعة فى المناسك » .
(الطبقات الكبرى للشافعية) ١٠ : ٧٩ .

(٢) العبارة من قوله : « ... التى ازدادت شهرتها ... » إلى آخره ، ليست فى مطبوعة
الشرح المذكور .

(٣) هو : العلامة أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن مرزوق التلمسانى ،
ويعرف بحفيد ابن مرزوق ولد سنة ٧٦٦ هـ . له كثير من المصنفات من أشهرها
شرحاه على « البردة » . (الضوء اللامع ٧ : ٥٠) .

(٤) سماه : « إظهار صدق المودة فى شرح البردة » ويقع فى (٢٩٧) لوحة ، وله
شرح آخر مختصر من هذا الشرح سماه : « الاستيعاب لما فى البردة من المعانى والبيان
والبديع والإعراب » .

ابن الإمام العلامة قاضي القضاة بدر الدين أبي عبد الله محمد بن جماعة الكنانى المصرى الشافعى ، عن الناظم .

(ح) وحدثنى بها إجازة عن ابن جماعة المذكور غير واحد من أشياخى الأعلام ، منهم : الأئمة الثلاثة المصريون حُجَّجُ الإسلام وحاملو راية سُنَّةِ النبى عليه الصلاة والسلام : أبو حفص عمر بن رسلان بن نصر بن صالح البلقيني ، وعمر بن على بن أحمد بن محمد الأنصارى - الشهير بابن الملقن - ، ووحيد دهره وفريد عصره زين الدين ابن العراقى .

(ح) وحدثنى بها إجازة العلامة النحوى ، أحد النُّحاة بالديار المصرية ، شمس الدين أبو عبد الله محمد الغمارى ، عن أبي حيان ، عن الناظم .

(ح) وحدثنى بها إجازة الشيخ الفقيه الإمام النحوى اللغوى الأعراف ، الحافظ المُتقن الراوية الصالح العارف ، أبو العباس أحمد بن محمد الأزدى - الشهير بالقصار - وله على القصيدة شرح ذكر فيه نبذاً من اللغة والإعراب ، عن الشيخ المُحدث الشهير الرّحال محمد بن جابر القيسى الواداشى ، بحق سماعه من ناظمها ، والحمد لله حقّ حمده .

قال الشيخ ابن حجر رحمه الله تعالى^(١) : وقد حصّلت رواية هذه القصيدة وغيرها من شعر الناظم من طرقٍ متعددةٍ ، منها - بل أعلاها - : [أنى] أرويهما عن شيخنا شيخ الإسلام وخاتمة الحفاظ ، أبى يحيى زكريا الأنصارى الشافعى ، عن العز [أبى محمد] بن الفُرات ، عن العز بن بدر بن جماعة ، عن ناظمها .

وعن حافظ العصر ابن حجر العسقلانى - يعنى شارح « البخارى » - عن الإمام المُجتهد السّراج البلقيني ، والسراج ابن الملقن ، والحافظ زين الدين العراقى عن العز بن جماعة عن ناظمها ، وأرويهما أيضاً عن مشايخنا ،

(١) « المنح المكية في شرح الهمزية » لابن حجر الهيتمي ١ : ١٠٩ .

عن الحافظ السيوطي ، عن جماعة منهم : الشُّمْنَى الحنفى ، بعضهم قراءةً ، وبعضهم إجازةً ، عن عبد الله بن علي الحنبلى . كذلك عن العز بن جماعة ، عن الناظم . انتهى .

وقد اشتمل هذان الإسنادان على جملة من أساطين العلماء الأعلام المقتدى بهم فى أمور الدين .

وأما غير هؤلاء ؛ فمما لا يحصى كثرةً ، لأنها من زمان مؤلفها إلى هذا الآن ، من رواها ألوْفُ مؤلفه لا يدخلون تحت الحصر من أكابر العلماء وغيرهم .

فائدة: قد شرح هذه البردة جملة من أكابر العلماء ، منهم : الشيخ ابن مرزوق التلمسانى المالكي ، الإمام المحقق المحدث شرحين كبير وصغير^(١) ، ذكر فى الكبير أنواعاً من العلوم ، وشرحها الإمام العلامة أبو البقاء الحنفى شرحاً سمّاه : « العدة فى كل شدة » ، وشرحها أيضاً العلامة المدقق جلال الدين المحلى ، المفسر للقرآن وشارح « جمع الجوامع » و« المنهاج » فى الفقه^(٢) ، وشرحها الحافظ الحجة الشيخ زكريا الأنصارى^(٣) شيخ الإسلام ، وشرحها الإمام المحدث شهاب الدين القسطلانى^(٤) شارح « البخارى » ، واستعملها فى كتابه « المواهب اللدنية » وطرز كتابه هذا بها ، واستعملها فى « سيرته » العلامة الحلبى مع « الهمزية » ، وشرحها العلامة الثانى السعد التفتازانى قدس سره الثورانى صاحب التأليف السائرة فى الآفاق ، وشرحها العلامة النحوى الشيخ خالد الأزهرى^(٥) صاحب « الأزهرية » وشرح « القواعد » و « التصريح » ، وشرحها العلامة المحقق شيخ

(١) تقدم ذكرهما . (٢) سماه : « تعليق لطيف على بردة المديح

» وفى بعض المصادر بعنوان : « الأنوار المضئية فى مدح خير البرية » .

(٣) سماه : « الزبدة الرائقة فى شرح البردة الفائقة » .

(٤) سماه : « مشارق الأنوار المضئية فى شرح الكواكب الدرية » .

(٥) سماه : « الزبدة فى شرح قصيدة البردة » . (مطبوع) .

زاده الرومى الحنفى صاحب «حاشية البيضاوى» فى عدة مجلدات ،
وشرحها السيد الغبرينى المقرئ - ذكره الشهاب الخفاجى فى «ريحانته» -
وشرحها علامة الروم الخادمى ^(١) ، وشرحها العلامة عبد السلام المراكشى
المالكى ^(٢) وذكر خواص أبياتها ، وشرحها العلامة القبانى البصرى ، ورأيت
لها ثلاثة شروح فى الفارسية .

وفى شرح العلامة ابن مرزوق ما يدل أن لها شروحا كثيرة ينقل
عنها ولم يسمّها .

وأما من خَمَّسَهَا فكثيرون جداً ، وسبّعها على ما شهر العلامة
البيضاوى صاحب التفسير المشهور ^(٣) .

فهل ترى أن كُلَّ هؤلاء الناس من العلماء لم يعلموا أن فيها شركاً
وكُفراً ، أو خطأ ، وأنت أيها الجاهل علمته ونبّهت عليه ، وهم غفلوا عنه
وما نبّهوا؟!!

أم علموا ذلك وغشّوا الناس ..! ، فما هذا وربّ الناس إلا خناسٌ
يُوسُوسُ فى صدور هؤلاء الأرجاس . وسيأتيك من الحجج القاطعة لاعتراض
هؤلاء الأنجاس ما يكشف عن قلبك لباس الالتباس .

ولا يخفى أن عصر مؤلّفها مُتقدِّمٌ على عصر تقى الدّين ابن تيمية
ومن بعده من أتباعه ، وكانت هذه القصيدة بهذه الشهرة العظيمة فى تلك
القرون العديدة ، فلم يُنقل عن أحدٍ من هؤلاء وغيرهم أنهم أنكروا عليها
فى شىء . إذ لو كان فيها من مخالف الشرع أدنى شىء ؛ لوجب التنبيه

(١) سماه : « نشر الكواكب الدرية » .

(٢) يعتبر هذا الشرح من أبسطها وأخصرها ، يقع فى أربع لوحات . وقد ضمّن
الشيخ خالد الأزهرى هذا الشرح وما ذكره المصنّف من خواص ، شرحه للبردة المسمى
: « الزبدة فى شرح قصيدة البردة » .

(٣) طبع بعنوان : « الكواكب الدرية تسبيح البردة البوصيرية فى مدح خير البرية » .

عليه ، فكيف إذا كان فيها الشُّرك المخرج عن المِلَّة كما يزعمونه الخوارج الأذلة ، ولكن في هذا الزمان كما قال القائل :

لقد هزلت حتى بدا من هزالها كلاًها وحتى سَامها كُلُّ مُفلس

وقد ورد في الحديث الصحيح : أن من علامات الساعة « أن يلعن آخر هذه الأمة أولها » ، بعكس ما أمر الله وذكر عن المؤمنين ، قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا ﴾ « الحشر الآية ١٠ » ، واقتداء بالرافضة والخوارج الذين كفروا الصحابة الكرام وجعلوهم مُرتدين ومشركين بشبهة هي أوهى من بيت العنكبوت ، فليخار هذه الأمة الحمدية أسوة حسنة بأصحاب نبيهم صلى الله عليه وعلى آله وسلم .

ففي « البخارى » باب « قتل الخوارج والملحدين » : وكان ابن عمر رضى الله تعالى عنهما يراهم شرار الخلق ، قال : « وهم أناسٌ عمدوا إلى آياتٍ نزلت في الكفار فجعلوها على المؤمنين » .

وقال الشيخ تقي الدين ابن تيمية في « الفتاوى » لما سُئل عن رجلين تكلمتا في مسألة التكفير : من أول من أحدثه ؟

فقال : « إنما أصل التكفير للمسلمين من الخوارج والبروافض الذين يكفرون أئمة المسلمين ، لما يعتقدون أنهم أخطأوا فيه من الدين ، وقد اتفق أهل السنة والجماعة على أن علماء المسلمين لا يجوز تكفيرهم بمجرد الخطأ المحض ، بل كُلُّ أَحَدٍ يُؤْخَذُ مِنْ قَوْلِهِ وَيُتْرَكُ ، إِلَّا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ، وليس كُلُّ مَنْ يُتْرَكُ قَوْلُهُ لخطأ أخطأه ؛ يُكْفَرُ وَلَا يُفْسَقُ وَلَا يُؤْثَمُ .

ثم قال : فَإِنَّ اللَّهَ قَالَ فِي دَعَاءِ الْمُؤْمِنِينَ : ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ

نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ﴿ البقرة الآية ٢٨٦ ﴾ . وفي « الصحيح » عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : « قد فعلت » .

إلى أن قال : ومن المعلوم أن المنع عن تكفير المسلمين الذين تكلموا في هذا الباب ، بل دَفَعَ التكفير عن علماء المسلمين وإن أخطأوا ، هو من أحق الأغراض الشرعية ، حتى لو فُرضَ أن القائل دفع التكفير عن من يعتقد أنه ليس بكافرٍ حماية لأخيه المسلم ؛ لكان هذا غرضاً شرعياً حسناً ، وهو إذا اجتهد في ذلك فأصاب ، فله أجران ، وإن اجتهد وأخطأ ، فله أجر واحد .

فبكل حالة ؛ هذا القائل محمودٌ على ما فعل ، مأجورٌ على ذلك مثابٌ إذا كانت له نية حسنة ، والمنكر له أحق بالتعزير . انتهى منه .

وقال ابن رجب الحنبلي في « شرح الأربعين النووية » : « روى ابن مهدي ، عن مالك قال : لم يكن شيء من الأهواء في عهد رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وأبى بكر وعمر وعثمان رضي الله تعالى عنهم ، وكان مالك رحمه الله يشير بالأهواء إلى ما حدث من التفرق في أصول الديانات من أمر الخوارج والروافض والمرجئة ، ونحوهم ممن تكلم في تكفير المسلمين ، واستباحة دماءهم وأموالهم ، أو في تخليدهم النار ، أو في تفسيق خواص هذه الأمة ، أو عكس ذلك . فزعم أن المعاصي لا تضر ، وأنه لا يدخل النار من أهل التوحيد » ، انتهى .

وقال أيضاً في شرح الحديث الثاني : « وهذه المسائل - أعني مسائل الإسلام والإيمان والنفاق - مسائل عظيمة جداً ، والاختلاف في مسمياتها أول اختلاف حدث في هذه الأمة ، وهو خلاف الخوارج للصحابة ، حيث أخرجوا عصاة الموحدين من الإسلام بالكُلية ، وأدخلوهم في دائرة الكفر ، وعاملوهم معاملة الكفار ، واستحلوا بذلك دماءهم وأموالهم »

انتهى .

فهذا فى حال تكفير الخوارج بالمعاصى ، فكيف بمن يُكفّر علماء المسلمين بالسُّنن المُستحبة ، أو الأمور المباحة ؟ فكأنهم زادوا على الخوارج بدرجات ، بل نزلوا عنهم بدركات ، نسأل الله تعالى العافية .

فلنذكر محل اعتراض هذا المعرض عن الحق ، وهو بشقّ خلافه لعصا المسلمين شق ، فنقول وبالله التوفيق :

قال فى الأصل والتشطير :

إِنْ لَمْ يَكُنْ فِى مَعَادَى آخِذاً بِيَدَى

وَمُنْقِذَى مِنْ عَذَابِ اللَّهِ وَالْأَلَمِ

أَوْ شَافِعاً لِي مِمَّا قَدْ جَنَيْتُ غِداً

فَضْلاً وَإِلَّا فَقُلْ : يَا زَلَّةَ الْقَدَمِ

المطلوب من الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم الإنقاذ من عذاب الله ، أى بالفعل ، فإن لم يحصل بالفعل ؛ فبالشفاعة .

فوازن بين قوله سبحانه لنبيه صلى الله عليه وعلى آله وسلم : ﴿ أَفَأَنْتَ تَنْقِذُ مِنَ النَّارِ ﴾ « الزمر الآية ١٩ » استفهام إنكار ، وقال عن صاحب يس : ﴿ إِنْ يَرِْدُنِ الرَّحْمَنُ بَضْرًا لَا تَعْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً وَلَا يُنْقِذُونَ ﴾ « يس الآية ٢٣ » .

فهذا نص أن من أراد الله بضر ، فلا مُنقِذَ له ولا شفيع .

وقال تعالى : ﴿ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئاً ﴾ الآية « الانفطار الآية ١٩ » ، وقال لنبيه صلى الله عليه وعلى آله وسلم : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ

شَيْءٌ ﴾ « آل عمران الآية ١٢٨ » .

وقال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم لقرايته : « أنقذوا
أنفسكم من النار ، لا أغني عنكم من الله شيئاً » . حتى قال صلى الله عليه
وعلى آله وسلم لفاطمة بضعتة ، سيدة نساء العالمين : « أنقذى نفسك من
النار ، لا أغني عنك من الله شيئاً » .

وهل يجتمع فى قلب عبد الإيمان إلا بما ذكرنا من الآيات
والأحاديث . والإيمان بقول القائل :

إِنْ لَمْ يَكُنْ فِى مَعَادِى أَخْذًا بِيَدِى ... البيت
وقوله :

فَإِنَّ مِنْ جُودِكَ الدُّنْيَا وَضَرَّتْهَا ...

والجود هو : العطاء والإفضال ، والله تعالى يقول : ﴿ وَإِنَّ لَنَا
لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَى ﴾ « الليل الآية ١٣ » .

وقوله :

وَمِنْ عُلُومِكَ عِلْمَ اللَّوْحِ وَالْقَلَمِ ...

ومما جرى به القلم فى اللوح ؛ فوائح الغيب التى لا يعلمها إلا الله ،
وغير ذلك من أمور الغيب التى اختص سبحانه بعلمها ، قال تعالى : ﴿ قُلْ لَا
يَعْلَمُ مَنْ فِى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ ﴾ « النمل الآية ٦٥ » .

فيجوز على قوله :

وَمِنْ عُلُومِكَ عِلْمَ اللَّوْحِ وَالْقَلَمِ ...

أن يُقال : لا يعلم من فى السموات والأرض الغيب ؛ إلا الله ومحمد ،

انتهى .

فنقول وبالله التوفيق :

هذا الاعتراض باطل من وجوه :

• **الوجه الأول :** أن هذا الرجل يزعم أن قول الناظم :

إن لم يكن في معادى آخذاً بيدي ...

وقول المُشطر :

ومُنقذى من عذاب الله والألم ...

أن هذا الإنقاذ بالفعل ، وأنه بغير شفاعَةٍ ، وأنه إن لم يحصل بالفعل ؛ فبالشفاعة ، لقول التشطير :

أو شافعاً لى مما قد جنيتُ غداً ...

وليس كما زعم ؛ لأنَّ الإنقاذ والأخذ باليد ، هو أيضاً بالشفاعة . لأنَّ غير الشفاعَةِ يكون استقلالاً من دون الله تعالى ، ولا يتصور اعتقاد هذا من مؤمن ، ولو كان بدوياً جاهلاً ، والمراد تنوع الشفاعَةِ .

فالنوع الأول منها هو : الأخذ باليد والإنقاذ . وقد ورد هذا

فى الأحاديث الصحيحة التى اتفق عليها « البخارى » و « مسلم » .

ففى حديث الشفاعَةِ : « فأقول : يارب ، أمتى أمتى . فيقال : انطلق فأخرج من فى قلبه مثقال ذرةٍ من خير . فأنطلق فأفعل ، فأقول : يارب ، أمتى أمتى . فيقال : انطلق فأخرج من فى قلبه أدنى أدنى مثقال حبةٍ من خردل من إيمان . فأنطلق فأخرجه من النار » .

وكذلك ورد فى حديث « الصحيحين » : أن المؤمنين يُناشدون الله فى إخوانهم ، فيقال : أخرجوا من عرفتم ، فيخرجون خلقاً كثيراً . ثم يقال : ارجعوا ، فمن وجدتم فى قلبه مثقال ذرةٍ من خير ، أو أدنى مثقال ذرةٍ .

وثبت ذلك فى هذه الأحاديث الصحيحة ، فما المانع من إطلاق

اللفظ؟ وهل هذا الإخراج إلا الإنقاذ من العذاب؟

• **الوجه الثاني** : أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم فى الميعاد - وهو يوم القيامة - حىٌ كحاله فى الدنيا هو وجميع الخلائق ، فلا مانع فى ذلك اليوم أن يتسبب ويُخرج ويُنقذ من الشدة ، لأنه حىٌ حاضرٌ .
وعند هذا الرجل وأشياعه ؛ أن الحىَّ الحاضر له قدرةٌ بنفسه .

قال ابن عبد الوهاب فى « كشف الشبهات » فى جواب الحديث الصحيح : إنَّ الناس يوم القيامة يستعينون بآدم ، ثم بإبراهيم ، ثم بموسى ، ثم بـعيسى حتى ينتهون إلى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فيقول صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « أنا لها ، أنا لها » .

فأجاب عن هذا : (بأن الاستعانة بالخلق فيما يقدر عليه ، لا نكرها ، كما قال تعالى فى قصة موسى عليه السلام : ﴿ فَاسْتَعَاثُ الَّذِى مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِى مِنْ عَدُوِّهِ ﴾ « القصص الآية ١٥ » كما يستغيث الإنسان بأصحابه فى الحرب ، أو غيره فى أشياء يقدر عليها الخلق) . انتهى .

فإذا كان الحى الحاضر عند هؤلاء النَّاسِ ينسبون له الفعل لأنه يقدر عليه عندهم ، وصاحب « البردة » يُخبر أنه إن لم يكن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم (فى معادى) وهو يوم القيامة (آخذاً بيدى فضلاً وإلا فقل يازلة القدم) والنبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم وجميع الخلائق ذلك اليوم أحياءٌ حاضرون لهم قدرةٌ فيما يقدرُون عليه فى الأمور العادية الحسية ، ونسبة الأفعال إلى فاعلها وأسبابها ، جائزة شرعاً وعرفاً .

وذكر هذا الرجل أيضاً فى تسويده الذى كَفَر به المسلمون المتوسلين بالأنبياء والصالحين ، قال : « والاستغاثة تجوز فى الأسباب الظاهرة

العادية من الأمور الحسية فى : قتالٍ ، وإدراكِ عدوٍّ ، أو سَبْعٍ ونحوه .

كقولهم : يا لزيد ، يا قومى ، يا للمسلمين . كما ذكروا ذلك فى كتب النحو ، بحسب الأسباب الظاهرة بالفعل « انتهى .

فكيف ينكر إنقاذ النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم أمته من العذاب بالفعل ، ويجعله ممتنعاً ، وأنه خلافُ الشفاعة ؛ مع أن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم يومئذٍ حيٌّ ، حاضرٌ ، له قدرةٌ فيما يقدر عليه ذلك اليوم ، ويقدر على ذلك كما هو فى حال حياة الدنيا .

كما كان يرمى العدوَّ وهم أُلوفٌ بكفٍّ ترابٍ ؛ فيعميهم . ويروى الأُلوفُ العطاش ويُشبعهم بقليل من الماء والطعام بطريق التَّسبُّب .

قال الصحابة الكرام رضوان الله تعالى عليهم : (كنّا فى الحروب نتترسُ برسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم) يعنى : أنهم يجعلونه صلى الله عليه وعلى آله وسلم كالترس ، وهى : الدَّرَقَةُ ، يتوقون به العدوَّ .

وفى الحديث الصحيح : « إنكم تنهافتون على النار تهافتُ الفَراش وأنا أخذُ بحُجْزكم لئلا تقعوا فيها » .

وأعظمُ من هذا ؛ أن الله نسب إخراج الكفار من النُّور إلى الظلمات إلى الطاغوت ، وهى الأصنام ، مع أنها لا قُدرة لها بوجهٍ ، لكن لما كانت سبباً للإخراج ؛ نسب الإخراج إليها .

وكذلك هنا ؛ لما كان النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم سببَ الإنقاذ من العذاب ، نسب إليه الإنقاذ .

وفى : « الصحيحين » وغيرهما فى حديث الاستسقاء من دعائه صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « اللهم اسقنا غيثاً مُغيثاً » ، قال شُرَّاحُ الحديث والفقهاء من كلّ مذهب ، كما فى « شرح الإقناع » ، و « المنتهى » ،

و « الزاد » وغيرها : إن معنى « مُغيثاً » : مُنقذاً من الشدة مع أن الغيث جمادٌ لا قدرة له . ولكنه لما كان سبب الإنقاذ والإغاثة ؛ نُسبت الإغاثة والإنقاذ إليه .

وقد اشتهر عند العلماء قولُ العرب : أنبت الربيع البقل ، و : منع البقاء تقلب الشمس . مع أن المُنبت في الحقيقة ؛ هو الله . والمانع للبقاء هو الله .

وهذا يُسمونه : المجاز العقلي ، وأمثاله كثير في الكتاب والسنة .

وقد قال تعالى : ﴿ فَوَكَرَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ ﴾ « القصص الآية ١٥ » ، مع أن القِضَاء من الله . وقال الله في حقه صلى الله عليه وعلى آله وسلم : ﴿ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾ « الأعراف الآية ١٥٧ » ، مع أن الواضع هو الله تعالى ، لكن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم لما كان سبباً ؛ نُسب الفعلُ إليه ، بل جميع الأفعال تُنسبُ إلى من فعلها .

فيقال : فلان أعطى ، وفلان نفعنى ، ضربنى فلان ، أنقذنى وأغاثنى . وهذه الإطلاقات جائزة بالاتفاق للأحياء الحاضرين المباشرين ، ويلزم على قول هذا الرجل ؛ أن لا تنسب هذه الأفعال وغيرها إلى أحد ممن باشرها ، ولا قائل به . لأنه حينئذ ينسد باب نسبة الأفعال إلى فاعلها ، ولا يقول بذلك عاقلٌ . بل ورد نسبة الإنقاذ من النار إلى المعاني من الأعمال ، لأنها أسبابٌ ، والمُنقذ في الحقيقة ؛ هو الله تعالى .

فقد ورد في حديث صحيح : أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : « رأيت رجلاً قد عُدب في قبره ، فجاءت صلاته فأنقذته من العذاب » .

والآخر ؛ حجة أنقذه . والآخر ؛ صيامه . فإذا جاز نسبة الإنقاذ

إلى المعانى لكونها أسباباً ، فنسبتها إلى الذوات من باب أولى ؛ خصوصاً
أشرف الذوات من المخلوقات .

أما قوله :

أو شافعاً لى مما قد جنيتُ غدا ...

فمراده : إخبار عن نوع آخر من الشفاعة ، وهو كونه شافعاً لى
باستغفاره ، أو بدعائه ، لا بفعله . فيشفع لى شفاعة ثانية مما جنيتُ من
الذنوب ، فلا يؤاخذنى الله تعالى بها ، فلا أرى العذاب بالكلية ، أو يزيد
فى درجاتى .

فقد ذكر النووى فى : « شرح مسلم » عن : شرح القاضى عياض :
أن الشفاعة خمسة أقسام :

أولها : مختصةً بنبينا صلى الله عليه وعلى آله وسلم ؛ وهى
الإراحة من هذا الموقف ، وتعجيل الحساب .

الثانية : فى إدخال قوم الجنة بغير حساب ، وهى - أيضاً - وردت
لنبينا صلى الله عليه وعلى آله وسلم .

الثالثة : الشفاعة لقوم استوجبوا النار ، فيشفع نبينا صلى الله
عليه وعلى آله وسلم ، ومن شاء الله تعالى .

الرابعة : الشفاعة فيمن دخل النار من المذنبين . وقد جاءت
هذه الأحاديث - يعنى التى فى : « صحيح مسلم » - بإخراجهم من النار ،
بشفاعة نبينا صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، والملائكة ، وإخوانهم من
المؤمنين .

الخامسة : الشفاعة فى زيادة الدرجات فى الجنة لأهلها ، انتهى .

• **الوجه الثالث :** يجوز أن يكون المراد بقوله :

إن لم يكن فى معادى آخذاً بيدى

ومنقضى من عذاب الله والألم

الإنقاذ من هول الموقف ؛ لأنه أشدُّ ما يكون من العذاب ، حتى إنَّ
الناس يستغيثون بالأنبياء إلى أن ينتهوا إلى نبينا صلى الله عليه وعلى آله
وسلم ، فيخلصهم من هذه الشدَّة التى يتمنى الناس الخلاص منها ولو يؤمّر
بهم إلى النار؛ لما يرون من الأهوال ، كما ورد فى الأحاديث .

ولا شك أن هذا إنقاذ من عذاب الله والألم ، ولا يختص عذاب الله
بالنار .

ثم يشفع صلى الله عليه وعلى آله وسلم شفاعة أخرى خاصةً
بأمته : إما بغفران ذنوبهم ، أو برفع درجاتهم فى الجنة ، أو إدخالهم فيها
بغير حساب .

• **الوجه الرابع:** أن المؤمن إذا تكلم بكلام ، فإيمانه قرينة على
أنه لم يرد المعنى الضّار فى اعتقاده ، لا يعتقد ذلك ، لا سيما قرائن كلامه .

وهذا العالم الناظم يقول فى قصيدته - بعد كم بيت - :

ولن يضيق رسول الله جاهك بى

إذا الكريم تجلّى باسم منتقم

فمن هذا يُعلم : أن صاحب « البردة » فى قوله :

إن لم يكن فى معادى آخذاً بيدى

مراده من حيث الشفاعة ، لا الاستقلال ، لأن كل مؤمن لا يعتقد
هذا ، وإن أطلقه ولم يقيد بالشفاعة ، لأن المراد بها .

• **الوجه الخامس:** أن هذا الرجل يُنكر نسبة الإنقاذ من النار

بالفعل لرسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، لأنه غير الله . ويقول :
إِنَّ اللَّهَ نَفَى الْإِنْقَازَ عَنْهُ بقوله : ﴿ أَفَأَنْتَ تَنْقِذُ مِنْ فِي النَّارِ ﴾ « الزمر الآية
١٩ » ، وهو يذكر الأحاديث الصحيحة التي فيها نسبة الإنقاذ من النار إلى
قريش ؛ ولا يدرى أنها رادةٌ عليه مدّعاها الذي يدّعيه .

إذ يقال : كيف نفى الله الإنقاذ عن نبيه صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، وأثبتته لأقاربه من قريش في قوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم :
« أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ ، يَا فاطمة : أَنْقِذِي نَفْسَكَ مِنَ النَّارِ ... » ؟ ! فإنه
صلى الله عليه وعلى آله وسلم نسب الإنقاذ من النار لهم .
فإن قلت : إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أَرَادَ أَنْكُمْ
تَسَبَّبُوا فِي إِنْقَازِ أَنْفُسِكُمْ بِالْإِسْلَامِ .

قلنا : وكذلك إطلاق كلامنا ، كإطلاق كلامه ، مرادنا بقولنا :
وَمُنْقِذِي مِنْ عَذَابِ اللَّهِ وَالْأَلَمِ ...

أى متسبباً في إنقاذي ، أو مُنْقِذِي بفعله ؛ بأمر الله تعالى ، كما
تقدم في الأحاديث .

وقولي ثانياً :

أَوْ شَافِعَالِي مَّا قَدْ جَنَيْتَ ...

فهذه شفاعَةٌ أُخْرَى غَيْرُ شَفَاعَةِ الْإِنْقَازِ ، بل استغفارٌ للذنوب . قال
تعالى : ﴿ وَاسْتَغْفِرْ لَذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ « محمد الآية ١٩ » ، وقال تعالى :
﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ
الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴾ « النساء الآية ٦٤ » .

فالأولى شفاعَةٌ فعلية ؛ بأن يُخرجه من العذاب بعد وقوعه فيه ،

والثانية شفاعة قولية ؛ بأن يُحال بين المذنب وبين المؤاخذة . وهذا ظاهر .

● **الوجه السادس** - من وجوه بطلان اعتراض هذا الرجل :- أنه استدل بآيات القرآن على مدّعاها أن الإنقاذ لا يُنسب إلى النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم بقوله تعالى : ﴿ أَفَأَنْتَ تَنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ ﴾ الزمر الآية ١٩ ، وأن هذا استفهام إنكار ، يعنى : أنت لا تنقذ من فى النار .

فانظروا يا أمة الدين إلى هذا الذى يدعى الاجتهاد ، وأنه مذهب يأخذ من الكتاب والسنة ، وهو لا يعرف معنى الكتاب ولا السنة ؟!!

فنقول له : هل فهم النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم الإطلاق كما فهمت ، وأنه لا يُنقذ مطلقاً حتى لا يُنسب الإنقاذ إليه ؟ ، فإن قال : فهم النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم الإطلاق ؛ نقول له : فكيف يُخبر فى أحاديث الشفاعة أنه ينطلق فيُخرج من النار من فى قلبه مثقال حبة من خردل من خير ! . وكيف يجوز أن يقول لربه : « أمتى ، أمتى » ، وهو منزل : أنت لا تنقذ من فى النار ؟ وكيف جاز له صلى الله عليه وعلى آله وسلم أن يقول لأقاربه : « أنقذوا أنفسكم من النار » ؟

فإذا كان هو لا يُنقذ ، كيف يكون غيره مُنقِذاً وهو كافر ، وليس له قرب من الله كقربه ولا وسيلة كوسيلته ؟

وإن كان ما فهم النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم الإطلاق ، بل فهم التخصيص بقوم معينين حكم الله بعلمه الأزلي ببقائهم على الكفر ، وأنهم لا يؤمنون ، كما قال الله تعالى : ﴿ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ البقرة الآية ٦ ، وكما قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ (٩٦) وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴾ يونس الآية ٩٦ - ٩٧ .

قال البغوى رحمه الله فى قوله تعالى : ﴿ أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ ﴾ عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما : نزلت فى أبى لهب وولده .
فمعنى : ﴿ أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ ﴾ يعنى : أفأنت تهديهم إلى الإسلام وهم ممن كتب عليهم الشقاوة والكفر الأبدى ؟
وأوّل الآية دالٌّ على ذلك .

قال الله تعالى : ﴿ أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ ﴾ « الزمر الآية ١٩ » ، وكلمة العذاب قيل : ﴿ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ « هود الآية ١١٩ » ، وقيل : قوله : « هؤلاء فى النار ولا أبالى ، هؤلاء فى الجنة ولا أبالى » .

فإذا كانت الآية نازلةً فى مخصوصين من الكفار ، كيف يجوز أن يُستدل بها على عدم إنقاذ النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم أمته المؤمنين من النار ؟ وهو صلى الله عليه وعلى آله وسلم قد أثبت لنفسه وللمؤمنين إخراج عصاة أمته من النار !

فمن هذا يتبين : أن كُلَّ من هداه النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم إلى الإسلام ، أو اهتدى به إلى يوم القيامة ، فقد أنقذه من النار ، وهو الذى لم تحقّ عليه كلمة العذاب .

والدليل عليه : قوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم لقرايته : « أنقذوا أنفسكم من النار » أى : أسلموا وآمنوا ، وقد أطبق المفسرون أن آية : ﴿ أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ ﴾ نازلةً فى هداية النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم لبعض من حَكَمَ الله عليهم بعدم إيمانهم ، وإلا فالنبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم حين نزلت الآية عليه وهو حيٌّ حاضرٌ قادرٌ على إيقاع الفعل - كما هو قول هذا الرجل وأشياعه - وليس مراد الله بالآية

أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يُنْقَذُ بَعْضُ مَنْ فِي النَّارِ فِي الْآخِرَةِ ،
بل مراده في الدُّنْيَا من جهة الهداية .

وفى « السيرة » عن ابن إسحاق بسنده إلى حسان بن ثابت رضى
الله تعالى عنه شاعر النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم من قصيدة يرثيه
بها بعد موته :

يَدُلُّ عَلَى الرَّحْمَنِ مَنْ يَقْتَدِي بِهِ وَيُنْقَذُ مِنْ هَوْلِ الْخَزَايَا وَيُرْشَدُ
وَإِنْ نَابَ أَمْرٌ لَمْ يَقُومُوا بِحَمَلِهِ فَمَنْ عِنْدَهُ تَيْسِيرٌ مَا يَتَشَدَّدُ
فقد وصف حسان رضى الله تعالى عنه وهو صحابى جليل النبي
صلى الله عليه وعلى آله وسلم بأنه يُنْقَذُ مِنْ هَوْلِ الْخَزَايَا ، وَأَنَّ ذَلِكَ بِسَبَبِ
دَلَالَتِهِ وَهُدَايَتِهِ مَنْ يَقْتَدِي بِهِ وَيَتَّبِعُهُ .

وأما استدلاله بقوله تعالى عن صاحب يس : ﴿إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ
بِضُرٍّ لَا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُونِ﴾ ، فانظروا هل يصدر هذا
من مجنون ؟ ! ، فَإِنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَازِلَةٌ فِي الْأَصْنَامِ الَّتِي اتَّخَذَهَا الْكَفَّارُ آلِهَةً
وَأَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ تَعَالَى .

قال تعالى : ﴿أَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ﴾
الآية .

قال المفسرون ومنهم البغوى رحمه الله تعالى : أى لا شفاعة لها
فتغنى .

فالأصنام لا تُعَدُّ مِنْ أَهْلِ الشَّفَاعَةِ ، حَتَّى تُقَاسَ بِصَاحِبِ الشَّفَاعَةِ
صلى الله عليه وعلى آله وسلم .

فما هذه البَشَاعَةُ والشَّاعَةُ يا عَظِيمُ الصَّقَاعَةِ ، فهل يستدلُّ مَنْ لَهُ

أدنى تمييز على عدم شفاععة النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم وإنقاذه لأُمته بمثل هذا الدليل الباطل العاقل الذى يساوى فيه الأصنام بسيد الأنام عليه أفضل الصلاة والسلام بعد ما أخبر تعالى نبيه صلى الله عليه وعلى آله وسلم بقوله: ﴿وَلَسَوْفَ يَعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ «الضحى الآية ٥»، وبقوله: ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ «الإسراء الآية ٧٩» وهى مقام الشفاععة !؟.

وأخبر النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم فى الأحاديث الصحيحة التى بلغت مبلغ التواتر؛ أنه الشّافع المُشفع فى أُمته ، وفى غيرهم ، كما فى الشفاععة العظمى وعموم الشفاععة فى الآيات القرآنية ، حتى أجمع عليها أهل السُّنة والجماعة ، ولا يُنكرُ بعض الشفاععة إلا الخوارج والمعتزلة .

وظاهر كلام هذا الرجل ؛ إنكار الشفاععة بالكلية ، لقوله : وهذا نصٌّ فى أن من أرادَه اللهُ بضرٍ ، فلا مُنقذَ له ولا شفيع .

ومعلومٌ أن من استوجب العذاب من المسلمين ، أو دخل فيه ، وشفع فيه الأنبياء والملائكة ، أو المؤمنون ، لا شك أن الله أرادَه بضرٍ ، ونفعته شفاععة الشافعين .

قال البغوى رحمه الله تعالى فى قوله تعالى: ﴿قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ * وَلَمْ نَكُ نَطْعُمُ الْمَسْكِينِ * وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ * وَكُنَّا نُكَذِّبُ بَيُومِ الدِّينِ * حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ * فَمَا تَفْعَلُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ المدثر الآيات ٤٣-٤٨ .

قال ابن مسعود رضى الله تعالى عنه: «يشفع الملائكة والنبيون والشهداء والصالحون ، وجميع المؤمنين ، فلا يبقى فى النار إلا أربعة» . ثم تلا

قوله تعالى: ﴿قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمَصْلِينَ﴾ إلى قوله ﴿وَكُنَّا نَكْذِبُ بِيَوْمِ الدِّينِ﴾.

وقال عمران بن حصين رضى الله تعالى عنه: «الشفاعة لكل أحدٍ دون هؤلاء الذين تسمعون».

وساق البغوى رحمه الله تعالى بسنده إلى أنس رضى الله تعالى عنه قال «قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يَصِفُ أهل النار: «فيعذبون، قال: فيمر الرجل من أهل الجنة فيقول الرجل منهم: يا فلان، فيقول: ما تريد؟ فيقول: أما تذكر رجلاً سقاك يوم كذا وكذا؟ قال: وإنك لأنت هو؟ فيقول: نعم، فيشفع له». الحديث». انتهى كلام البغوى:

فكيف يجوز لمسلم إنكار الشفاعة، وهو يدعى أنه من أهل السنة والجماعة ويستدل عليه بآية الأصنام المتخذة أرباباً؟!.

قال النووى رحمه الله تعالى فى «شرح صحيح مسلم»: «قال القاضى عياض رحمه الله تعالى: مذهب أهل السنة، جواز الشفاعة عقلاً، ووجوبها سمعاً بصريح الآيات والآثار التى بلغت مجموعها حد التواتر، بصحة الشفاعة فى الآخرة لمذنبى المؤمنين. وأجمع السلف الصالح ومن بعدهم من أهل السنة عليها، ومنعت الخوارج وبعض المعتزلة منها، وتعلقوا بمذاهبهم فى تخليد المؤمنين فى النار، واحتجوا بقوله تعالى: ﴿فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾، ويقول الله تعالى: ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ «غافر الآية ١٨»، وهذه الآيات فى الكفار.

وأما تأويلهم الأحاديث بكونها فى زيادة الدرجات؛ فباطل، وألفاظ الأحاديث فى الكتاب وغيره؛ صريحة فى بطلان مذاهبهم، وإخراج من استوجب النار». انتهى.

أقول : ولم يختلف أحدٌ من أهل السنة عن هذا ، كما في جميع كتبهم ، والله تعالى أعلم .

وأما استدلاله بقوله تعالى : ﴿ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا ﴾ الآية « الانفطار الآية ١٩ » ، ففي النفس الكافرة ، فإنها لا شفاعة لها .

قال البغوي رحمه الله تعالى : لا تملك نفسٌ لنفسٍ كافرةً شيئاً ، وليس كلامنا في الكافر ، بل كلامنا في شفاعة النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم في أمته . كيف وقد قال الله تعالى في حقه : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ « الأنبياء الآية ١٠٧ » فلعوم الناس الرحمة في الدنيا برفع العذاب والمسح والخسف ، وفي الآخرة الشفاعة العظمى من هول الموقف ، ولخصوص أمته في الدنيا بهدايتهم به ، وفي الآخرة بشفاعته بأنواعها الخمسة المتقدمة .

وأما استدلاله بقوله تعالى : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾ آل عمران الآية ١٢٨ » .

فيقال : هذه الآية نازلةٌ في أناس من الكفار ، كانوا آذوا النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم فدعا عليهم بالهلاك ، وكان علم الله فيهم من يؤمن فقال : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبُهُمْ ﴾ ، فهذه الآية في ناسٍ مخصوصين ، ونحن كلامنا في نفع النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أمته بالشفاعة ، فقد أخبره الله تعالى بقوله : ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ﴾ . وأنزل له جبريل عليه السلام ، يقول الله تعالى : ﴿ إِنَّا سَنَرْضِيكَ فِي أَمْتِكَ وَلَا نُنْصِرُكَ ﴾ ، ولم يقل الله تعالى هنا : ليس لك من الأمر شيء .

وأما استدلاله بقوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم لقربائه وبضعته : « لا أعني عنكم من الله شيئاً » .

فمعناه : إذا لم تؤمنوا بالله وبرسوله ، لا أغنى عنكم من الله تعالى . بدليل قوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « أنقذوا أنفسكم من النار » يعنى : بالإسلام .

وهذا قاله صلى الله عليه وعلى آله وسلم لما نزل عليه : ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ « الشعراء الآية ٢١٤ » كما فى « البخارى » و « تفسير البغوى » . والندارة للأقربين ، إنما هى دعاؤهم إلى الإسلام ، بدليل آخر الآية ، وهى قوله تعالى : ﴿ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّى بَرِءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ « الشعراء الآية ٢١٦ » .

قال البغوى : من الكفر وعبادة غير الله .

وبدليل ما فى « البخارى » أنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم صعد على الصفا ، فهتف بقبائل قريش قبيلة قبيلة ، وقال لهم : « إنى نذير لكم بين يدى عذاب شديد » فنفروا وضحكوا منه ، وقال أبو لهب : تباً لك ، ألهذا جمعتنا ؟ فلم يقبلوا منه الندارة ، وأنزل الله تعالى فيه : ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾ إلى آخر السورة .

وفى « السيرة الحلبية » فى ذكر : ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ قال : « وفى رواية « الصحيحين » أنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم دعا قريشاً فاجتمعوا ، فعمَّ وخصَّ ، وقال : « يا بنى كعب ، أنقذوا أنفسكم من النار . يا بنى مُرَّة ، أنقذوا أنفسكم من النار » إلى آخر القبائل ، ثم قال : « فإنى لا أملك من الدنيا منفعة ، ولا من الآخرة نصيباً إلا أن تقولوا : لا إله إلا الله ، غير أن لكم رحماً سابلها ببالها » أى : أصلها بالدعاء . انتهى

فدل على أن مقصوده بقوله : « لا أغنى عنكم من الله شيئاً » ، إن لم تقولوا : لا إله إلا الله وتؤمنوا . ومعلوم أنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم لا

يُغْنِي عن الكفار شيئاً ، وأما بعد الإيمان ، فهو يُغْنِي بالشفاعة الثابتة له صلى الله عليه وعلى آله وسلم كما تقدم من الآيات والأحاديث والإجماع ، وكيف لا يُغْنِي النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم عن قرابته وبضعته من الله شيئاً ، وقد أنزل الله في حقّ أهله وبضعته وآله : ﴿ إِنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ « الأحزاب الآية ٣٣ » فهل هذا إلا لأجله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وكرامته على ربه ؟ ، خصّ آله بعد الإيمان بما لم يخصّ به أحداً من أُمته ، أو كيف يقال : لا يُغْنِي عنهم شيئاً ؟ وهو صلى الله عليه وعلى آله وسلم لما نزلت عليه هذه الآية ، جمعهم وجلّلهم بكسائه وقال : « اللهم هؤلاء أهل بيتي ، أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا » .

فهل هذا إغناء وفائدة لهم ، أم لا ؟ لا ، بل هو يغني كلّ من آمن به . قال تعالى : ﴿ النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ﴾ « الأحزاب الآية ٦ » . ففي « البخارى » عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : « ما من مؤمن إلا أنا أولى به فى الدنيا والآخرة ، اقرأوا إن شئتم : ﴿ النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ﴾ » ، الحديث ذكره البغوى .

أما اعتراض هذا المعترض على قوله :

فإن من جودك الدنيا وضرتّها

فإنه هذيان محموم ، أو همهمة ملجوم ، ولا سيما استدلاله بقوله تعالى : ﴿ وَإِن لَّنَا لِلْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ ﴾ .

فيقال له : ومن قال لك : إنّ الآخرة والأولى لغير الله ؟ ، أفلا يجوز أن الله يعطى الدنيا لأحد وهو يجودُ بها ، أو منها ؟ ، أو ليس كلّ الوجود لله

وقد ملكه الله لعباده ، وهل إذا جادوا به ، يخرج عن كونه مال الله ؟ ! .

فما هذا الاعتراض الفاسد ، والعقل الكاسد ؟ ! وقد ورد أن الدنيا والآخرة خلقت لأجله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ^(١) ، وورد في « البخارى » : أنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم أكرم من الريح المرسلة ، فما يضر لو أكرم بمال ربه ، وهو حبيبه الأعظم ، مع أن البيت مقول على الفرض والتقدير .

وأما اعتراضه على قوله :

ومن علومك علم اللوح والقلم ...

فقد قال الشراح : المراد باللوح : ما يكتب الناس عليه ، والقلم : ما يكتبون به . فكأنه قال : ومن علومك ؛ علم الناس الذى يكتبونه بأقلامهم فى ألواحهم . وعلى هذا ، فلا ورود للاعتراض .

قالوا : ويحتمل أن المراد به : اللوح المحفوظ ، ولا يلزم على هذا الاعتراض الذى قاله هذا الرجل ، لأن مراده : علم اللوح غير الفواتح الخمس ، وما استأثر الله بعلمه ، لأن هذا معلوم من القرائن .

على أن قوله : علم اللوح ، الإضافة جنسية ، أى : بعض علم فى اللوح . والجنس يصدق على بعض الأفراد .

ولا شك أن شريعته صلى الله عليه وعلى آله وسلم لا سيما القرآن

(١) قال الشيخ ابن تيمية فى الفتاوى « ٩٦ : ١١ » : « وقد ظهر فضل نبينا على الملائكة ليلة المعراج لما صار بمستوى يسمع فيه صريف الأقلام ، وعلا على مقامات الملائكة ، والله تعالى أظهر من عظيم قدرته وعجيب حكمته من صالحى آدميين من الأنبياء والأولياء ما لم يظهر مثله من الملائكة ، حيث جمع فيهم ماتفرق فى المخلوقات ، فخلق بدنه من الأرض وروحه من الملائكة الأعلى ، ولهذا يقال : هو العالم الصغير ، وهو نسخة العالم الكبير . ومحمد سيد ولد آدم ، وأفضل الخلق ، وأكرمهم عليه ، ومن هنا قال من قال : إن الله خلق من أجله العالم ... » انتهى .

المنزل عليه ، وما فيه من العلوم ، وما آتاه الله من الوحي ، قال تعالى : ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ « النجم الآية ٣ - ٤ » ، وما أطلعه الله عليه من المغيبات ، كُلُّ هذا من علم اللوح ، بل ولو لم نقل بهذا ؛ لا يلزم هذا الاعتراض ، لأنَّ فواتح الغيب الخمس لا يلزم أنها في اللوح المحفوظ ، بل هي في أم الكتاب ، وهي غير اللوح .

قال البغوي رحمه الله تعالى : وقال عكرمة عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما : « وهو كتابان سوى أم الكتاب يمحو الله ما يشاء ويثبت فيهما ، أم الكتاب الذي لا يغير منه شيء »

وعن عطاء عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال : « إِنَّ لِلَّهِ لَوْحاً محفوظاً مسيرة خمس مئة عام من دُرَّةٍ بيضاء ، ولها دَفَّتَانِ من ياقوت ، لله فيه كل يوم ثلاث مئة وستون لحظة ، يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب . »

فتبين من هذا : أَنَّ أم الكتاب غير اللوح ، بل هي أصل اللوح ، وقد يكون الخمس مما لم يكتب في لوح ، وفي غامض علمه مما استأثر الله تعالى بعلمه ، فلم يكتبها في لوح .

وأما قول هذا الرجل : فيلزم أن يقال : قُلْ : لا يعلم من في السموات والأرض الغيبَ إِلَّا الله ومحمدٌ . فليس هذا الاستدلال في محله ، لأنَّ صاحب البردة لم يدَّع ولم يقل : إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يعلم جميع ما يعلم الله ، إذ هذا مُحَالٌ ، لأنَّ لِلَّهِ عُلُوماً استأثر الله بها واختصَّ ، لا يشاركه فيها غيره ، بل قررنا أَنَّ علم اللوح والقلم بعض مواضع علم الله تعالى ؛ غير ما هو في مكنون غيبه .

وهو أثبت للنبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم علم اللوح والقلم ومراده بتعليم الله له ، والمنفى عن غيره تعالى فى الآية إنما هو الاستقلال ، الإحاطة بكل شىء ، بناءً على أن المراد (بأل) فى الغيب ، الاستغراق ، ولا يلزم من إثبات بعض علم الغيب للنبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم بتعليم الله له أن يقال : ﴿ قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ ﴾ « النمل : الآية ٦٥ » ومحمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، بناءً على ما قررنا من أن المراد بالغيب فى الآية ؛ الاستقلال أو الإحاطة بكل شىء ، فهذا خاص لله تعالى .

أما الغيب الذى لا يكون بهاتين الصفتين ، فيجوز أن يكون لغيره تعالى ، لأن الله تعالى أثبت ذلك لرُسُلِهِ ، وبعض غيرهم من خلّص عباده ؛ لا استقلالاً ، فإن هذا كفر ، بل بطريق إطلاعه لهم وتعليمه إياهم .
قال تعالى : ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ ﴾ « البقرة الآية ٢٥٥ » .

وقال تعالى : ﴿ فَلَا يَظْهَرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا * إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ ﴾ « الجن الآية ٢٦ - ٢٧ » .

وقال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِيٰ مِنْ رُّسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ ﴾ « آل عمران الآية ١٧٩ » .

قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما : « فَيُطْلِعُ رُسُلَهُ عَلَى غَيْبِهِ ، وَإِنَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أَفْضَلُهُمْ » .

وقال تعالى فى حقّ الخضر عليه السلام : ﴿ وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾ « الكهف الآية ٦٥ » .

قال البيضاوى رحمه الله تعالى : أى علم الغيب ، أى بدليل المسائل التى فعلها الخضر ، من : خرقه السفينة ، وقتله النفس الزكية ، وإقامة الجدار ، وكل هذه الأمور مُغيبات .

وقال صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « رحم الله موسى ؛ لو صبر لرأى العجب » ، يعنى : من فعل الخضر عليه السلام للمغيبات التى علمها الله له من لدنه ، فما المانع أن يكون من علوم رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم علم اللوح والقلم ، بإطلاع الله له عليه ؟

وقد ورد فى الحديث الصحيح ، قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « رأيت ربى فى المنام فى صورة شاب له وفرة ، فقال : يا محمد ! بم يختصم المלא الأعلى ؟ »

فقلت : لا أدرى ، فوضع كفه بين كتفى ، فوجدت بردها بين ثديي . فعلمت مافى السموات والأرض . وتلا ﴿ وَكَذَلِكَ نَرى إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴾ الحديث . رواه الترمذى والدأرمى .

وفى رواية : « فتجلّى لى كل شىء وعرفت » ، رواها : أحمد ، والترمذى وقال : هذا حديث حسن صحيح ، وسألت محمد بن إسماعيل - يعنى البخارى - عن هذا الحديث ، فقال : هذا حديث صحيح . ذكره التبريزى فى « مشكاة المصابيح » :

قال الطيبى رحمه الله تعالى فى « حاشية المشكاة » : « والمعنى : أنه كما أرى إبراهيم صلوات الله وسلامه عليه ملكوت السموات والأرض ، وكشف له ذلك ، كذلك فُتح على أبواب الغيوب حتى علمت مافيهما من الذوات والصفات ، والظواهر والمغيبات » . انتهى .

وقد ورد في أحاديث « الصحيحين » إخبار النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم عن المغيبات .

وذكر البغوى رحمه الله تعالى وغيره فى تفسير قوله تعالى : ﴿ مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ ﴾ « آل عمران الآية ١٧٩ » . أن سبب نزول هذه الآية : أن ناقة للنبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ضلت فى بعض أسفاره ، فقال بعض المنافقين : إن محمداً يزعم أنه سيفتح لأمته من بعده قصور كسرى وقيصر ، وهو لا يدرى أين ناقتة .

فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، فقال : « إنها فى مكان كذا ، بأرض كذا ، قد تشكل خطامها بشجرة » .

فذهبوا ، فوجدوها كما قال صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، ثم غضب صلى الله عليه وعلى آله وسلم على المنافقين فقال : « ما بال أقوام يطعنون فى علمى ؟ فوالذى نفسى بيده لا تسألونى فى مقامى هذا عن شىء ؛ إلا أخبرتكم به » .

فقام رجل كان يدعى إلى غير أبيه فقال : يا رسول الله ، من أبى ؟ فقال صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « أبوك حذافة » . وقام رجل فقال : يا رسول الله ، أين أبى ؟ فقال صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « فى النار » . فجثا عمر رضى الله تعالى عنه على ركبته فقال : رضينا بالله رباً ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد نبياً . يا رسول الله اعف عنا ، فسكن غضبه - أو كما قال - .

فقوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « ما بال أقوام يطعنون فى

علمى « يعنى : فى علم الغيب الذى أطلعنى الله تعالى عليه ، لأنّ الكلام فيه ، لا فى غيره .

ويدلّ عليه : أنّ الرجلين إنما سألا عن أمرٍ مُّغيب .

وفى الأحاديث الصحيحة ؛ كحديث البخارى وغيره من حديث حذيفة رضى الله تعالى عنه : إنّ النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم أخبرنا عن كلّ ما يقع إلى يوم القيامة ، حتى أُدخل أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار ، حتى إنّنا لنرى الطائر يُقلب جناحيه ، فنذكر منه علماً .

والأحاديث فى هذا كثيرةٌ ؛ ذكرها القاضى عياض فى « الشفاء » .

فظهر أن من طعن فى علمه صلى الله عليه وعلى آله وسلم بالمُغيبات ، فهو منافق .

وقال صاحب « الإقناع » فى المتن فى (باب النكاح) فى عدّ خصائصه صلى الله عليه وعلى آله وسلم وكراماته ، ما نصه : « وعُرض عليه الخلق كلّهم من آدم إلى من بعده ، كما علّم آدم أسماء كل شىء » .

قال شارحه البهوتى رحمه الله تعالى : لحديث الديلمى : « مثّلت لى الدنيا بالماء والطين ، وعلمتُ الأشياء كلّها ، كما علّم آدم الأسماء كلّها » . وعُرض عليه أمته بأسرها حتى رآهم ؛ لحديث الطبرانى : « إنى عُرض علىّ أمتى البارحة لدى هذه الحجر ، أولها وآخرها ، صُوروا لى بالماء والطين حتى إنى لأعرفُ بالإنسان منهم من أحدكم بصاحبه » .

وعُرض عليه ما هو كائن فى أمته حتى تقوم الساعة ؛ لحديث أحمد وغيره : « رأيت ما تلقى أمتى بعدى ، وسفك بعضهم دماء بعض » انتهى .

فإذا تحقّق هذا ؛ تبين أنّ قول هذا الرجل جهلٌ صرفٌ ، وصرفٌ للأشياء عن حقائقها بغير عُرف .

وهذا الذي قررناه ، بناءً على أن الله تعالى يُطلع أنبياءه وبعض أتباعهم على الغيب ، غير الخمس (١) .

والذي نقله جماعة من أهل العلم : أنه لا مانع أن الله يعلم ويُطلع نبينا صلى الله عليه وعلى آله وسلم وغيره من المقربين ؛ حتى على الخمس .

فهاك نقول من اطلعنا على نقله في حال العجلة :

قال النووي رحمه الله تعالى في «فتاويه» :

مسألة : ما معنى قوله تعالى : ﴿ قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ ﴾ ، وقول النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « لا يعلم ما في غدٍ ، إلا الله » وأشبه هذا من القرآن والحديث ، مع أنه قد وقع علم ما في غدٍ في معجزات الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم ، وكرامات الأولياء رضى الله تعالى عنهم ؟

الجواب : معناه : لا يعلم ذلك استقلالاً ، انتهى . يعنى : بتعليم

(١) قال الشيخ ابن القيم في مدارج السالكين « ٢ : ٥١٠ » : « ولقد شاهدت من فراسة الشيخ ابن تيمية رحمه الله أموراً عجيبة ، وما لم أشاهده منها أعظم وأعظم ، ووقائع فراسته تستدعى سفرًا ضخماً .

أخبر أصحابه بدخول التتار الشام سنة تسع وتسعين وست مئة ، وأن جيوش المسلمين تكسر ، وأن دمشق لا يكون بها قتل عام وسبى عام ، وأن كلب الجيش وحدته في الأموال . وهذا قبل أن يهجم التتار بالحركة .

ثم أخبر الناس والأمراء سنة اثنتين وسبع مئة لما تحرك التتار وقصدوا الشام : أن الدائرة والهزيمة عليهم وأن الظفر والنصر للمسلمين ، وأقسم على ذلك أكثر من سبعين يمينا ، فيقال له : قل إن شاء الله . فيقول : إن شاء الله تحقيقاً لا تعليقاً . وسمعتة يقول ذلك . قال : فلما أكثروا على قلت : لا تكثروا ، كتب الله تعالى في اللوح المحفوظ : أنهم منهزمون هذه الكرة ، وأن النصر لجيوش الإسلام . انتهى منه فماذا يقول أتباع ابن تيمية فيه ، وهو يقسم بالله أن الله كتب في اللوح المحفوظ النصر أقرأ هو اللوح المحفوظ ؟ !

الله لغيره جائز، لأنه لا يكون استقلالاً حينئذ .

وقال الشيخ علي القارى الحنفى رحمه الله تعالى فى « شرح المشكاة » : « فإن قلت : ما التوفيق بين الآية - يعنى قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى الْأَرْحَامِ ﴾ الآية - وبين ما اشتهر عن العرفاء من الأخبار الغيبية ، كما قال الشيخ الكبير أبو عبد الله فى « معتقده » : « ونعتقد أن العبد ينقل فى الأحوال حتى يصير إلى نعت الروحانية ، فيعلم الغيب ، وتطوى له الأرض ، ويمشى على الماء ، ويغيب عن الأبصار ؟ »

فالجواب : أن للغيب مبادئ ولواحق ، فمبادئه لا يطلع عليه ملكٌ مقرب ، ولا نبيٌ مرسل ، أما اللواحق فهو ما أظهر الله عليه بعض أحبائه لوحة علمه ، وخرج بذلك عن الغيب المطلق ، وصار غيباً إضافياً وذلك إذا تنور الروح القدسية ، وازداد نوريتها وإشراقها ، والمواظبة على العلم والعمل ، وفيضان الأنوار الإلهية ، حتى يقوى النور وينبسط فى فضاء قلبه ، فتعكس فيه النقوش المرتسمة فى اللوح المحفوظ ، ويطلع على المغيبات ، ويتصرف فى أجسام العالم السفلى بل يتجلى الفياض الأقدس بمعرفة التى هى أشرف العطايا ، فكيف بغيرها . انتهى .

وقال فى الشرح المذكور فى قوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله » أى : لا يعلم تفصيله إلا هو ، ولا يعلم مجمله بحسب خرق العادة ، إلا من قبل الله تعالى .

وقال رحمه الله تعالى فى شرح قوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « فى خمس لا يعلمهن إلا الله » : فإن قلت : قد أخبر الأنبياء والأولياء بكثير من ذلك ، فكيف الحصر ؟

قلت : الحصر باعتبار كلياتها دون جزئياتها قال تعالى : ﴿ فلا

يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا (٢٦) إِلَّا مَنْ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ ﴿٢٧﴾. إلى آخر كلامه رحمه الله تعالى.

قال المناوى رحمه الله تعالى فى « شرح الجامع الصغير » - الكبير - فى تفسير قوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: « مفاتيح الغيب خمس » : وأما قوله تعالى : ﴿ لا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ ﴾ ، ففسر بأنه لا يعلمها أحد بذاته ، ومن ذاته ؛ إلا هو . وقد تعلم بإعلام الله تعالى ، فإن ثمة من يعلمها .

وقد وجدنا ذلك لغير واحد ، كما رأينا جماعة علموا متى يموتون ، وعلموا مافى الأرحام حال حمل المرأة ، بل وقبله .

وقال القاضى عياض رحمه الله تعالى فى « الشفاء » : ومن ذلك - أى من خصائصه صلى الله عليه وعلى آله وسلم وكراماته الباهرة - ما اطلع عليه من المغيبات ، مما كان ويكون . والأحاديث فى هذا الباب لا يدرك قعره ، ولا ينزف غمره ، وهذه المعجزة من جملة معجزاته المعلومه على القطع الواصل إلينا خبرها على التواتر ، لكثرة روايتها ، واتفاق معانيها على الاطلاع على الغيب . ثم ذكر جملة من الأحاديث الصحيحة .

قال الشهاب الخفاجى فى « شرحه » : « وهذا لا ينافى الآيات الدالة على أنه لا يعلم الغيب إلا الله . فإن المنفى علمه من غير واسطة ، وأما اطلاعه عليه بإعلام الله له ؛ فأمر متحقق لقوله تعالى : ﴿ فلا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا (٢٦) إِلَّا مَنْ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ ﴾ انتهى .

وقال الحافظ الحجة ابن أبى جَمرة رحمه الله تعالى فى « شرح مختصر البخارى » : فى قوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « ما من شئ لم أكن أريته إلا رأيتة فى مقامى هذا ؛ حتى الجنة والنار . فأوحى إلى : أنكم تفتنون فى قبوركم » .

قال رحمه الله تعالى : الوجه الثالث : قوله عليه الصلاة والسلام : « ما من شيء لم أكن أريته إلا رأيتُه في مقامي هذا » ، فيه دليل على أنه عليه الصلاة والسلام لم يكن يرى من الغيب جميعه في الزمان المتقدم على هذا الموطن ؛ إلا البعض ، وأنه في هذا الموطن ؛ تكملت له الرؤية لتلك الأشياء كلها .

ثم قال : وهل المراد جميع الغيوب ، أو المراد به ما يحتاج به الإخبار إلى أمته ، وما يخصه عليه الصلاة والسلام في ذاته المكرمة ؟ .
والجواب : إن هذا الحديث مُحتملٌ للوجهين معاً ، والظاهر منهما الوجه الأخير .

وقال العلامة الأجهوري رحمه الله تعالى في « شرح مختصر البخاري » « قوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « ما من شيء لم أكن أريته » إلى آخره ، يُفيد أنه علم الخمس التي استأثر الله بعلمها وإن فُسرَت الرؤية في الحديث بالعلمية . وانظر هل علم نزول الغيث وما بعده مختصٌ بزمانه صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، أو به وبما بعده إلى يوم القيامة » . انتهى .

وقال بعض المفسرين في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ ﴾ إلخ : « وأما الباقيات - يعنى غير الساعة - فيعلمها ﴾ فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا ﴿ مَلِكُ الْأَمْطَارِ ، وَمَلِكُ الْأَرْوَاحِ ، وَمَلِكُ الْمَوْتِ .

فإن قلت : جاء في الحديث « في خمس لا يعلمهن إلا الله » ، وفسرها بما في الآية !

قلت : القصر إضافي لا حقيقي ، والمراد : نفى علم من يدعيه من المنجمين ، والأطباء » ، انتهى .

وذكر ابن رجب في « شرح الأربعين النووية » : « إِنَّ الْمَلِكَ الْمُوَكَّلَ بالرحم يقول : أَيْ رَبُّ، مُخَلَّقةٌ أَوْ غَيْرُ مُخَلَّقةٍ ؟

فَإِنْ كَانَتْ مُخَلَّقةٌ ؛ قَالَ : ذَكَرْتُ أَمْ أَنْشَى ؟ شَقِيٌّ أَمْ سَعِيدٌ ؟ مَا الْأَجَلُ ؟ مَا الْأَثَرُ ؟ وَبَأَى أَرْضٍ تَمُوتُ ؟ فَيَقَالُ : اذْهَبْ إِلَى الْكِتَابِ ، فَإِنَّكَ سَتَجِدُ فِيهِ قِصَّةَ هَذِهِ النُّطْفَةِ . » انتهى .

فهذا يدل على أن الله يُطْلَعُ بعض خلقه على شيء من الخمس ، وهو الْمَلِكُ ؛ والنبي صلى الله عليه وعلى آله وسلّم أولى ، لَأَنَّهُ مَنصُوصٌ عَلَيْهِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا ﴾ (٢٦) إِلَّا مَنْ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ ﴿ ، وَقَدْ قَالَ تَعَالَى فِي حَقِّ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ : ﴿ وَأَنْبِئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخُرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ﴾ ﴿ آل عمران الآية ٤٩ ﴾ ، وَقَالَ تَعَالَى فِي حَقِّ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : ﴿ لَا يَأْتِيَكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَأْتُكُمَا بَتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكَمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي ﴾ ﴿ يوسف الآية ٣٧ ﴾ .

وغير ذلك من الآيات والأحاديث ، وكان الواجب على من لم يطلع أن يسأل أهل الذكر ، ولا يعترض على أهل العلم ، والله تعالى أعلم .

وقال العلامة المدابغي رحمه الله تعالى في « حاشيته » على « شرح الأربعين » لابن حجر : « والحق كما قال جمعٌ : إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَقْبِضْ نَبِيْنَا عَلَيْهِ الصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ حَتَّى أَطْلَعَهُ عَلَى كُلِّ مَا أَبْهَمَهُ عَنْهُ ، إِلَّا أَنَّهُ أَمَرَهُ بِكُتْمِ بَعْضٍ ، وَإِعْلَامِ بَعْضٍ . » انتهى .

وقال السبكي رحمه الله تعالى في « معيد النعم » : « ومن حقهم - يعنى الأولياء - الوقوف فى إظهار ما يطلعهم الله عليه من المغيبات ، ويخصهم به من الكرامات على الإذن ، وهم لا يُجِيزُونَ إظهارها بلا فائدة ، ولا يظهرونها إلا عن إذنٍ لفائدةٍ دينية . كما قال أبو بكر الصديق لعائشة

رضى الله تعالى عنهما : إنما هو أخواك وأختاك ، فاقسموه على كتاب الله .

قالت عائشة رضى الله عنها : إنما هى أسماء ، فمن الأخرى ؟

فقال أبو بكر رضى الله عنه : ذو بطن بنت خارجة ، أراها جارية .

فقد أخبر أن مافى بطن زوجته أنثى ، وهى من جملة مافى الأرحام
التى لم يطلع عليه إلا الله تعالى ، ولكن الله تعالى أطلععه عليه إذ ذاك ،
فَعَلِمَهُ من علم الله تعالى .

وذكر ابن تيمية فى « الفرقان » معنى قول سيدنا عمر رضى الله
تعالى عنه : « اقتربوا من أفواه المطيعين ، فإنهم تنجلى لهم أمورٌ صادقة » -
يعنى : عِلْمُ المُكاشفة ..

وقال فى مكان آخر من « الفرقان » : « وذلك أن الخوارق منها ماهو
من جنس العلم ، كالمكاشفات ، ومنها ماهو من جنس القدرة والمُلك ،
كالتصرفات الخارقة للعادة ، وجميع ما يعطيه الله لعبده من هذه الأمور
وغيرها ؛ إن استعان بها على ما يُحبه الله ويرضاه ، ويقربه إليه ، ويأمر الله
به ورسوله ، ازداد بذلك رفعةً وتقرباً إلى الله تعالى ، وعلت درجته .

وإن استعان به على ما نهى الله ورسوله كالشرك والظلم
والفواحش ، استحق بذلك الذم والعقاب ، فإن لم يتداركه الله بتوبة حسنة ،
أو حسناتٍ ماحية ، وإلا كان كأمثاله من المذنبين » انتهى .

وذكر ابن القيم فى كتابه « الروح » أحاديث صحيحة وآثراً على
عِلْمِ أهل القبور بأحوال أهل الدنيا من الأمور التى لا يعلمها إلا الله ، من أمور
واقعة ، وأمورٍ ستقع .

وقد وقع هذا من كثير من الصحابة ، ومن بعدهم ، وتكلم ابن
القيم على تأييد هذه المسألة (١) .

(١) ينظر « مدارج السالكين » ٢ : ٥٠٥ ، وما بعدها .

أقول: وقد أخذ جمعٌ من العلماء أن قول النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم لجبريل عليه السلام في علم الساعة : « ما المسئول عنها بأعلم من السائل » يعنى : أنا وأنت في العلم سواء ، لأنه نفى أفعل التفضيل الدّال على الزيادة .

فمعناه : ما أنا أعلم منك ، بل كما تعلمها أنت ؛ أنا أعلمها .

وقد ثبت في « البخارى » وغيره ، أنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم أشار إلى مصارع صناديد قريش كل منهم صُرع في ذلك المكان ما تعداه . فقد علم أن هذه الأنفس بأى (أرض) تموت ، وهى من الخمس .

وأخبر صلى الله عليه وعلى آله وسلم عن أشياء تقع بعده إلى يوم القيامة ، ف وقعت كما أخبر ، وهذا مما لا تدرى نفسٌ ماذا تكسب غداً .

وأخبر صلى الله عليه وعلى آله وسلم بعد موته بنزول الغيث ، كما في الحديث الذى ذكره الشيخ ابن تيمية فى « اقتضاء الصراط المستقيم » حين شكى الصحابى ، فأتى إلى قبر رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، فقال : « انت عمر وأخبره أنهم مسقون » . فكان كما أخبر .

ورفعُ هذا الإشكال والتوفيق بين الآيات والأحاديث الصحيحة بهذا التقرير متعين ، وإلا يلزم منه التناقض والخلفُ فى الأخبار الصادقة ، وبالله تعالى التوفيق .

وأما اعتراض هذا المعارض على قوله :

يا أكرم الخلق مالى من ألودُ به

سواك عند حلول الحادث العمم

فهو سوء فهم وعدم علم ، وذلك أنه يقرأ البيت :

مالى من ألوذ به سواك ...

فإذا سمع العامى الذى معه فى الفهم سواء ، قال : كيف هذا الحصر ؟ فيفهم منه أنه قاله قائله على الإطلاق .

وليس ذلك مراداً ، ولا هو معنى البيت . بل معناه ظاهرٌ لمن عرف ، فإن معنى البيت على ما يعطيه اللفظ ، مع قطع النظر عن مراد الناظم ، وقرائن الأحوال والأقوال أنه يقول : يا أكرم الخلق على ربه ؛ مالى من ألوذ به غيرك وقت حلول الحادث العام الذى يعمُّ الخلائق كلها ، وهو يوم القيامة فى الموقف .

كما ورد فى الأحاديث الصحيحة أن الناس ذلك اليوم تدنو الشمس منهم مقدار ميل ، ويزدحمون حتى يصير على كل قدم سبعون ألف قدم ، ويلجمهم العرق ، وتسعر جهنم ، ويغضب الجبار جلّ جلاله وكل الأنبياء والرسل يقول كل واحد : نفسى ... نفسى ... ، ثم يطلب الناس من يشفع لهم كما فى « البخارى » فيستغيثون بآدم ، ثم بإبراهيم ، ثم بموسى ، ثم بـعيسى . فيأتون نبينا صلى الله عليه وعلى آله وسلم فيقول : « أنا لها ... أنا لها » فيشفع لجميع الخلائق من ذلك الموقف المهول الشديد الذى يشتهى الناس أن يخلصوا من شدته ؛ ولو يؤمر بهم إلى النار كما فى صحيح الأخبار .

فهل ترى أن أحداً من الرسل يلاذ به ، أو واحداً من المخلوقات يلاذ به إلا هو صلى الله عليه وعلى آله وسلم فى هذا الحادث العام ، لا فى سائر الأحوال ؛ بل فى هذه الحال ؟ !

وهو عند حلول الحادث العمم ، « اسم فاعل » كـ : حذر وحفل ، وليس مراده : مالى من ألوذ به سواك مطلقاً ، بل مقيدٌ بهذا الوقت الذى وردت الأحاديث الصحيحة أنه ما يكون غيره له ، بل أولو العزم يعتذرون

للناس ذلك اليوم .

ومقصوده : اللوذ به ، من طرف الشفاعة ، بدليل قوله في البيت
الذي بعده :

ولن يضيق رسول الله جاهك بى

إذا الكريم تجلى باسم منتقم

إذ الجاه راجع للشفاعة ، وهكذا قرر جميع من شرح هذه القصيدة
من العلماء الأكابر .

قال الشيخ خالد الأزهرى فى « شرحه » على هذه القصيدة: « ألوذ:
ألتجىء ، سواك : غيرك ، وحلول الحادث العمم : هول يوم القيامة الشامل
لجميع الخلق .

والمعنى : يا أكرم كل مخلوق ، مالى أحد غيرك - يعنى من
المخلوقين - ألتجىء إليه يوم القيامة من هوله العميم والناس يتناولون إلى
جاهك الرفيع ، ولن يضيق بى جاهك إذا اشتد الأمر وعيل الصبر ، فإنك
أعظم الخلق على الله ، المعول فى الشفاعة عليه » ، انتهى .
وكذلك قال غيره من الشراح .

بقى أن يقولوا: قوله: يا أكرم الخلق...، فإن هذا عندهم دعاء،
وهو النداء ، ولا وجه للتكفير به ، لأن النداء إذا كان ضاراً وهو عبادة كما
يزعمون ، للزم أنه لا ينادى أحد حتى ولا ميت ، لأن كون الشيء الواحد
بالنسبة للحي يكون طاعة ، وللميت والغائب يكون عادة ، لم يعهد هذا
شرعاً وعرفاً . إنما الدعاء الذى هو عبادة ، فهو اتخاذ غير الله ربا وإلهاً ،
وهذا لا يقصده أجهل المسلمين ، فضلاً عن أكابر العلماء العاملين .

والدليل على أن النداء والطلب من الأموات والغائبين ليس بعبادة

بل هو مأمور به شرعاً : آيات وأحاديث وآثار ، وأقوال العلماء الكبار من الأئمة الأربعة الأخيار كما ستحيط به علماً ، ولكن لا تعجل ، بل تصبر وتبصر ، واستوعب الأدلة التي تقرأ ، وتقرر ، وأنصف ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله .

الدليل الأول : قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ ﴾ « المائدة الآية ٣٥ » ، قال البغوي في تفسير قوله تعالى في الآية الأخرى ﴿ يَتَغَوْنَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ﴾ « الإسراء الآية ٥٧ » : « عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما : الوسيلة كل ما يتقرب به إلى الله ، أى ينظرون أيهم أقرب إلى الله ؛ فيتوسلون به » ، انتهى .

فالوسيلة عامة شاملة للذوات والأفعال والأقوال ، وتخصيصها بالأفعال تحكم لا دليل عليه ، مع أن الذوات الفاضلة ، أفضل من الأفعال الصادرة عنها ، لا سيما نبينا صلى الله عليه وعلى آله وسلم فإنه خلق من نور خلقه الله تعالى كما فى حديث جابر رضى الله تعالى عنه .

الدليل الثانى : قوله تعالى : ﴿ لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ﴾ « مريم الآية ٨٧ » ، قال المفسرون : العهد قول : لا إله إلا الله محمد رسول الله .

قيل معناه : لا يشفع الشافعون إلا لمن اتخذ عند - أى : مع - الرحمن عهداً ، يعنى المؤمنين أهل لا إله إلا الله .

وقيل : ملك الله المؤمنين الشفاعة ، فلا يشفع إلا من شهد أن لا إله إلا الله . أى لا يشفع إلا مؤمن .

وعلى كل حال ؛ فقد أخبر الله تعالى أنه ملك المؤمنين الشفاعة ،

فطلبها ممن يملكها بتملك الله لا مانع منه ، كمن طلب المال وغيره ممن ملكه الله له .

ومراد المنادى له صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، والمتوسل به ؛ إنما هو الشفاعة ، وشفاعته صلى الله عليه وعلى آله وسلم الدعاء ، وهو حاصل له ولسائر الموتى من المؤمنين ، كما ورد في الأحاديث الصحيحة .

قال ابن رجب : وقد صحَّ عرض الأعمال كلها على رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم لأنه لهم بمنزلة الوالد ، خرج البزار في « مسنده » . قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « حياتي خير لكم تُحدثون ويُحدث لكم ، وفاتي خير لكم ، تُعرض أعمالكم عليّ ، فما رأيت من خير حمدتُ الله عليه ، وما رأيتُ من شرٍ استغفرت الله لكم » .

والدعاء من الحي والميت شفاعة كما ورد في صلاة الجنازة أن الداعي يقول : « وقد جئناك راغبين إليك شُفَعَاءَ له بين يديك » . واستغفارهم شفاعة ودعاء ، كما هو ظاهر .

وأما الأحاديث الصحيحة في طلب الصحابة الكرام منه صلى الله عليه وعلى آله وسلم ولم ينكرها عليهم ؛ فكثيرة شهيرة ولم يقل لهم : حتى يأذن الله لي ، وأنتم طلبتم مني قبل الإذن ؛ فقد أشركتم .

فدلَّ على أنَّ ذلك جائزٌ مطلقاً في حال حياته وموته صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، لأنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم بعد موته حي في قبره بالاتفاق .

الدليل الثالث : الحديث الأول : أخرج الترمذی عن أنس رضي الله تعالى عنه قال : قلت : اشفع لي يا رسول الله يوم القيامة . قال صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « أنا فاعل » .

قلت : فأين أطلبك ؟ ، قال صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « أول ما تطلبني على الصراط » ، قلت : فإن لم ألقك هناك ؟ قال صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « فاطلبني عند الميزان » ، قلت : فإن لم ألقاك هناك ؟ ، قال صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « فاطلبني عند الحوض ، فإنني لا أخطيء هذه المواطن الثلاثة » .

فإن قال قائل : إن هذا الطلب للشفاعة في حال حياته ، وهو جائز .
قلنا : لا ، طلب منه ما ليس في حياته ، وهو الشفاعة يوم القيامة ؛ وما جاز أن يطلب منه في الحياة ، جاز أن يطلب منه بعد الممات ، ومن منع فعلية الدليل أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم نهى عن ذلك في حديث .

بل على قولكم : إن الطلب نفسه عبادة ؛ يقتضى أن لا فرق بين الحياة والممات ، لأن العبادة ممنوعة في الحالين !..

وما تقولون في قوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم لما قال الصديق رضى الله تعالى عنه : قوموا نستغيث برسول الله من هذا المنافق ، فقال صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « إنه لا يستغاث بي ، إنما يستغاث بالله » ، وهو حيُّ قادرٌ على قولكم ، وقد أخبر الله عن موسى عليه السلام : ﴿ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ ﴾ ؟ ! .

الحديث الثانى وهو الدليل الرابع : قال الإمام أحمد في « مسنده » عن أنس رضى الله تعالى عنه قال : « ما شِئِمْتُ عبيراً قطُّ ولا مسكاً قطُّ ، ولا شيئاً قطُّ أطيب من ريح رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم » .

قال ثابت رضى الله تعالى عنه فقلت : يا أبا حمزة ! ألسنت كأنتك تنظر إلى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، وكأنتك تسمع إلى

نغمته؟

فقال رضى الله عنه : بلى والله ، إنى أرجو أن ألقاه يوم القيامة فأقول : يا رسول الله ، خُويدمك أنس .. الحديث .

وفى « الجامع الصغير » : كان مما يقول للخادم : « ألك حاجة ؟ » ، حتى كان ذات يوم قال : يا رسول الله ، حاجتى . قال صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « وما حاجتك ؟ » ، قال : حاجتى أن تشفع لى يوم القيامة .

قال صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « ومن ذلك على هذا ؟ » ، قال رضى الله تعالى عنه : ربى عز وجل .

قال صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « إمّا لا بدّ ، فأعنى بكثرة السجود » . رواه الإمام أحمد .

قال الترمذى : رجاله رجال الصحيح ، ورمز السيوطى لحسنه . وقال الهيثمى . رجاله رجال الصحيح ، ذكره المناوى فى شرحه « الكبير » .

الدليل الخامس : روى الترمذى ، والنسائى ، والبيهقى وصححه والحاكم وقال : على شرط البخارى ومسلم وأقره الحافظ الذهبى . عن عثمان بن حنيف رضى الله تعالى عنه : أن رجلاً ضربراً جاء إلى النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقال : يا رسول الله ، ادعُ الله لى أن يكشف لى عن بصرى .

قال صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « إن شئت دعوتُ لك ، وإن شئت صبرت » .

قال : ادعه ، فقال صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « اتت الميضاة فتوضأ وصلّ ركعتين وادع بهذا الدعاء : اللهم إنى أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد ، يا محمد ، إنى أتوجه بك إلى ربى فى حاجتى هذه لتقضى ،

اللهم شفعه في . وإن كان لك حاجة ؛ فمثل ذلك .

فذهب الأعمى وعمل ذلك لنفسه بغيبة النبي صلى الله عليه
وعلى آله وسلم .

قال البيهقي رحمه الله تعالى عن الراوى : فقام الأعمى وقد أبصر .
أقول : ولا يخفى أن هذا الحديث من دلائل نبوته صلى الله عليه
وعلى آله وسلم ومعجزاته ، حيث أن أعمى أبصر ببركته صلى الله عليه
وعلى آله وسلم كما كان عيسى ابن مريم يُبرىء الأكمه والأبرص ،
ويحيى الموتى بإذن الله .

وهذا الحديث ذكره ابن تيمية في « الفتاوى » وأقره ولم يتعرض له
وترجم له المحدثون : « باب من له إلى الله حاجة ، أو إلى أحد من خلقه » .

وذكره الحافظ الجزرى في « الحصن الحصين » ، والحافظ السيوطى
في « الجامع الصغير » . وشرحه للمناوى ، والشيخ على القارى الحنفى
فقال : قوله : « يا محمد » التفاتٌ وتضرعٌ لديه ، ليتوجه بروحه إلى الله
تعالى ، ويغنى السائل عما سواه ، وعن التوسل إلى غير مولاه قائلاً : « إني
أتوجه بك » - أى بذريعتك ، الذريعة الوسيلة ، والباء للاستعانة - « إلى ربى
فى حاجتى هذه » ، وهى المقصودة المعهودة « لتقضى لى » . ويمكن أن
يكون التقدير : ليقضى الله الحاجة لأجلك ، بل هذا هو الظاهر .

وفى نسخة : « لتقضى » بصيغة الفاعل ، أى : لتقضى أنت
يارسول الله الحاجة لى . **والمعنى :** لتكون سببا لحصول حاجتى ووصول
مرادى ، فالإسناد مجازى ، انتهى .

قال الجوزون : فقوله فى الحديث : « يا محمد ، إني أتوجه بك
فى حاجتى لتقضى .. » : نداءٌ وطلبٌ منه صلى الله عليه وعلى آله وسلم ،

واستغاثه به وتوسل ، والنبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم كان غائبا وقال له : « وإذا كان لك حاجة ؛ فمثل ذلك » ، وحاشا لرسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم أن يُعلمَ أمته الشرك وقد بُعثَ لهدمه .

فدلَّ أن النداء له والطلب منه ليس بشرك ؛ كما يعنيه الخوارج .

وأجاب تقي الدين ابن تيمية عن هذا الحديث ؛ بأنَّ الأعمى صور صورة النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم وخاطبها كما خاطب الإنسان من يتصوره من يحبه أو يبغضه ؛ وإن لم يكن حاضراً ، انتهى .

وهو عجيب ! فإن نداء الصورة والطلب منها مع كونها وهمية خيالية ، أقوى في الحجّة على المانع . فهذا الحديث الصحيح هو الدليل لمن يُجوزُ نداء النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم في غيبته وبعد موته ، والناظم من يرى ذلك .

والدليل على أنَّ هذا الحديث عامٌ : ما رواه البيهقي ، والطبراني بسند لا بأس به عن عثمان بن حنيف راوى الحديث الأول : أنَّ رجلاً كان يختلفُ إلى عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه في حاجته ، فكان لا يلتفتُ إليه ولا ينظر في حاجته . فشكى لابن حنيف الصحابي رضى الله عنه ، فعلمه أن يفعل كما فعل الأعمى ، ففعل فقضيت حاجته .

وسيأتى في كلام ابن تيمية أنَّ للناس في الحديث قولين : قولاً بجواز التوسل به ، بمعنى طلب دعائه في حياته . وقولاً بجواز ذلك في حياته ومماته ، وحضوره ومغيبه .

وعلى كلا القولين لا مانع في حياته من طلب صاحب « البردة » الشفاعة منه صلى الله عليه وعلى آله وسلم لأنه على الأول يكون طالباً لدعائه ، وهو حي في قبره ، وعلى الثاني فظاهر .

وقد وافق ابنُ تيمية ابنُ عبد السلام سلطان العلماء على جواز الطلب والتوسل به صلى الله عليه وعلى آله وسلم لحديث الأعمى ، فصار نداؤه صلى الله عليه وعلى آله وسلم والسؤال منه محل اتفاق . وسيأتى أقوال السلف والخلف ، وتواطئهم على جوازه .

الدليل السادس : روى الحاكم فى « صحيحه » ، وأبو عوانة فى « صحيحة » ، والبزار بسندٍ صحيح عن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه قال : « إذا انفلتت دابة أحدكم بأرض فلاة ، فليناد : يا عباد الله احبسوا ، فإنَّ لله حاضرا سيُجيبه » .

وقد ذكر هذا الحديث تقى الدين ابن تيمية فى « الكلم الطيب » عن أبى عوانة ، وابن القيم فى « الكلم الطيب » له ، والنووى فى « الأذكار » ، والحافظ الجزرى فى « الحصن الحصين » وغيرهم مما لا يحصى من المحدثين ، وهذا اللفظ رواية ابن مسعود رضى الله تعالى عنه مرفوعاً .

وأما قول هذا النجدى : إنَّ هذا نداءٌ لحاضر . كذبٌ ظاهر ، فإنَّ عباد الله المدعوين وإن كانوا حاضرين بالنسبة لعلم الله الذى لا يغيب عنه شىء ، هم غائبون بالنسبة لمن يناديهم . وكذلك الأنبياء والصالحون وأهل القبور ، فإنَّهم أحياء فى قبورهم وأرواحهم موجودة .

ولهذا أمر النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم أمته أن ينادوهم ويخاطبوهم مخاطبة الحاضرين مع أنَّهم غائبون عن العين ، بل ربما يُسمع منهم ردُّ السلام وقراءة القرآن والأذان من داخل قبورهم ، كما ذكر ابن تيمية فى « اقتضاء الصراط المستقيم » .

فليس نداءُ النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم وخطابه أقلَّ من عباد الله الذين أمر نبينا صلى الله عليه وعلى آله وسلم أن نناديهم ونستعين بهم فى ردِّ الدّابة ، ولكن مقصوده صلى الله عليه وعلى آله وسلم

التسبب ، فإنَّ الله ربط الأمور بالأسباب . والنبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أفضل الوسائل والأسباب ، خصوصاً يوم القيامة .

ولكون النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم حاضراً مع موته ، شرعَ لنا خطابه والتسليم عليه في الصلاة ، وهو قولنا : السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته . ولولا ذلك لكان هذا الخطاب والسلام عبثاً ، وحاشا هذه الشريعة الغراء العبث فيها .

فهو على قولين : إما أنه يسمع سلام المُسلمين عليه ويعرفهم حيث ما كانوا ، أو أنه موكلٌ بقبره صلى الله عليه وعلى آله وسلم ملكٌ يُبلغُه عن أمته السلام .

الدليل السابع : روى الطبراني عن عتبة بن غزوان ، عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « إذا أضل أحدكم شيئاً وهو بأرض فلاة ليس بها أنيس ، فليقل : يا عباد الله أعينوني ، فإنَّ الله عباداً لا يراهم » .

وروى عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه موقوفاً .

قال النووي رحمه الله تعالى : قد جُرب ، فصَحَّ .

وذكر ابن مفلح عن عبد الله ابن الإمام أحمد ، أنه ضلَّ في طريق الحج فنادى : « يا عباد الله ، دلُّونا على الطريق » . فوقع على الطريق .

فَهَبْ أَنْ عباد الله المدعويين حاضرون - كما قال - ولكن لما لم يرهم الداعي لهم ، كيف يهتدى الداعي إلى الطريق ، أو يحصل له مقصوده في مثل الهداية إلى الطريق وهو لم يرهم ؟ وكيف حصلت له الهداية بمجرد هذا الكلام ؛ لولا أنهم وسيلةٌ ، والله الفعَّال ؟ !

فكذلك خطاب النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ؛ أقل مراتبه أن يكون كالجن أو رجال الغيب ، مع أنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم

أفضلهم وأقربهم إلى الله وسيلة عند ربه تعالى .

الدليل الثامن : روى البيهقي ، وابن أبي شيبة عن مالك الدار

رضى الله تعالى عنه وكان خازن عمر رضى الله تعالى عنه قال : أصاب المدينة قحطاً فى زمن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه ، فجاء رجل إلى قبر النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم فشكا له فقال : يا رسول الله استسق لأمتك ، فإنهم قد هلكوا .

فأتاه رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فى المنام فقال : «أنت عمر وأقرئه السلام ، وأخبره أنهم مسقون ...» الحديث .

وقد ذكر هذا الحديث تقي الدين ابن تيمية فى « اقتضاء الصراط المستقيم » ونقله النجدي فى رسالته عنه ، وأقره ولم ينكره .

قال : وما روى أن رجلاً جاء إلى قبر النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم فشكا إليه الجذب عام الرمادة فأمره صلى الله عليه وعلى آله وسلم أن يأتى عمر رضى الله تعالى عنه ... الحديث .

قال : فهذا حق ، ومثل هذا وقع كثيراً لمن هو دون النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم . ولكن عليك أن تعلم ؛ هؤلاء السائلين المحلين لو لم يجابوا ، لاضطرب إيمانهم ، كما أن السائلين له فى الحياة كانوا كذلك ، انتهى .

ولا يخفى أن هذه المسألة والسؤال والشكوى للنبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم وقعا فى زمن الصحابة وخير القرون ، فلو كان ذلك ممنوعاً لم يفعلوه الصحابى الذى هو أعلم بالدين من سائر علماء المسلمين ، ولم ينكر مع وجود الصحابة الكرام ، فعلم أن هذا أمر معلوم عندهم جوازه واستحبابه ، وإلا لنقل عن واحد إنكاره .

الدليل التاسع : ذكر ابن عساكر في « تاريخه » ، وابن الجوزي في « مشير الغرام الساكن » ، والإمام هبة الله في « توثيق عرى الإيمان » عن العُتبي التابعي الجليل :

أَنَّ أَعْرَابِيًّا جَاءَ إِلَى قَبْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ :
السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ... ، وَفِي رِوَايَةٍ ذَكَرَهَا الطَّبْرِيُّ أَنَّهُ قَالَ : وَيَا
خَيْرَ الرِّسْلِ سَمِعْتُ اللَّهَ يَقُولُ : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ
فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴾ وَقَدْ
جِئْتُكَ مُسْتَغْفِرًا مِنْ ذَنْبِي ، مُسْتَشْفِعًا بِكَ إِلَيَّ رَبِّي .

ثم أنشد :

يَا خَيْرَ مَنْ دَفَنْتَ فِي الْقَاعِ أَعْظَمَهُ إلخ

قال العُتبي : فحملتني عيناي ، فرأيت النبي صلى الله عليه وعلى
آله وسلم في النوم وقال : « يا عُتبي ، الحق الأعرابي فبشره بأن الله غفر له » .
فتلقى هذا الأثر علماء الأمة كلهم بالقبول ، وذكره أئمة المذاهب
الأربعة في المناسك مُستحسنين له . وفيه نداء النبي صلى الله عليه وعلى
آله وسلم وطلب الشفاعة منه في الدنيا .

وسياتي نقل نصوص العلماء سيما من الحنابلة لهذا الأثر .

قال ابن تيمية عند ذكره هذا الأثر : ولقد استحَب طائفة من
أصحاب الشافعي ، وأحمد مثل ذلك . واحتجوا بهذه الحكاية التي لا يثبت
بها حكم شرعي ، بل قضاء حاجة الأعرابي وأمثالها لها أسبابٌ بسطت في
غير هذا الموضع .

وليس كلُّ من قضيت له حاجته بسبب ؛ يقتضى أن يكون
مشروعاً ، وقد يفعل الرجل العمل الذي يعتقده صالحاً ولا يكون عالماً أنه

منهى عنه؛ فيثاب على حُسْنِ قصده، فيعفى عنه لعدم علمه . ثم الفاعل قد يكون متأولاً أو مخطئاً أو مجتهداً أو مقلداً، فيغفر له خطؤه ، ويثاب على ما فعله من الخير المشروع المقرون بغير المشروع، كما اجتهد المخطيء . وقد بَسَطَ هذا في غير هذا الموضوع « ذكر ذلك في » اقتضاء الصراط المستقيم . وفي بعض الفتاوى ، وذكره ابن عبد الهادي تلميذه عنه في « الصارم المنكى في الرد على السبكي » .

فلو فرضنا أن صاحب « البردة » لم يتبع هذه الأحاديث الصحيحة والآثار الصريحة في طلبه منه صلى الله عليه وعلى آله وسلم في الدنيا والآخرة، وقلنا بقول الشيخ ابن تيمية أنه منهى عنه، أو ليس مستحباً كما قال في « اقتضاء الصراط » أليس ابن تيمية أعذر المتأول والمخطئ والمجتهد والمقلد، وقال : إنه يغفر له ويثاب على فعله ؟

فلنجعل هذا الرجل من هذا القبيل ، فكيف يحل لمن يؤمن بالله واليوم الآخر أن يكفر رجلاً أقدم من ابن تيمية ، بل تلاميذه من شيوخي ومعاصريه كأبي حيان النحوي ، والعز بن جماعة وغيرهما .
فقبح الله تعالى الجهل أين يصل بصاحبه .

الدليل العاشر: ذكر القسطلاني في « المواهب اللدنية » ، والسمهودي في « الوفا » قال : روى أبو سعد السمعاني عن عليّ كرم الله وجهه أن أعرابياً قدم علينا بعدما دفن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم بثلاثة أيام فرمى بنفسه على قبره ، وحثا من ترابه على رأسه وقال :

يا رسول الله ، قُلتَ فسمعنا قولك ، ووَعِيتَ عَنِ اللَّهِ فَوَعِينَا عَنْكَ .
وكان فيما أنزل إليك : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴾ ، وقد ظلمت نفسي وجئتك تستغفر لي .

فُنودى من القبر : « غُفر لك » .

أقول : ويعضد هذا الأثر ، الأثر المتقدم الذى تلقاه الأئمة بالقبول حتى الشيخ ابن تيمية مع أنه تشدد فى ذلك كما ترى .

الدليل الحادى عشر: ذكر القاضى عياض فى « الشفا » بسنده الحسن أن الإمام مالك بن أنس تناظر مع أبى جعفر المنصور ، فقال الإمام مالك : يا أمير المؤمنين ، إن الله أدب أقواماً فقال : ﴿ لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ .. ﴾ ، ومدح قوماً فقال : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَغْضُونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ .. ﴾ .
وإن حرمة ميتاً كحرمة حياً .

فاستكن لها أبو جعفر فقال : يا أبا عبد الله ، أستقبل القبلة فأدعو ، أم أستقبل رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ؟

فقال مالك رحمه الله تعالى : ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم ؟ ! بل استقبله وتشفع به فيشفعك الله ، قال الله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّاباً رَحِيماً ﴾ الآية .

ونقل هذا الأثر السبكى فى « شفاء السقام » ، والقسطلانى فى « المواهب اللدنية » ، والسمهودى فى « الوفا » و « خلاصة الوفا » ، وابن حجر فى « الجوهر المنظم » وغيرهم .

الدليل الثانى عشر: ذكر ابن الجوزى فى كتابه « الوفا فى فضائل المصطفى صلى الله عليه وعلى آله وسلم » بسنده إلى أبى بكر المقرئ ، والطبرانى ، وأبى الشيخ قالوا :

كُنّا في حرم رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وكُنّا في حالة قد أثر فينا الجوع ، فواصلنا ذلك اليوم .

فلما كان وقت العشاء ؛ حضرت قبر النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم وقلت : يارسول الله الجوع الجوع ، وانصرفت .

قال أبو بكر : فنمتُ وأبو الشيخ ، والطبراني جالسٌ ينظر في شيء ، فحضر الباب علوى فدقَّ الباب ، ففتحنا له ، فإذا معه غُلامان مع كلِّ غلام زنبيلٌ فيه شيءٌ كثير ، فجلسنا فأكلنا ، فولى وترك الباقي عندنا .

فلما فرغنا من الطعام ، قال العلوى : يا قوم ، شكوتُم إلى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ؟ فإنّي رأيته في المنام فأمرنى بحمل شيءٍ إليكم ، انتهى .

وذكر هذا الأثر جماعةٌ من المحدثين ، وذكر مثله تقى الدين في «اقتضاء الصراط المستقيم» .

قال : وكذلك ما حكى أن بعض المجاورين في المدينة أتى إلى قبر النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم فاشتهدى نوعاً من الأُطعمة ، فجاء بعض الهاشميين إليه فقال : إنّ النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم بعث إليك ذلك النوع من الأُطعمة ، ويقول لك رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : اخرج من عنده ، لا تشتهي مثل ذلك .

وآخرون قضيت لهم حوائجهم ولم يقل لهم مثل هذا ؛ لاجتهادهم أو تقليدهم أو قصورهم في العلم ، فإنه يغفر للجاهل ما لا يغفر لغيره ، انتهى .

الدليل الثالث عشر: ذكر ابن الجوزي في كتابه «صفة الصفوة» بسنده إلى أبي الخير التيناتي قال : دخلت مدينة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وأنا بفاقةٍ فأقامت خمسة أيامٍ ما ذقتُ ذواقاً ، تقدمت إلى

القبر الشريف وسلّمتُ على النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم وأبى بكرٍ وعمر رضي الله تعالى عنهما وقلتُ : أنا ضيفك الليلة يا رسول الله . وتنحيتُ فنمتُ خلف المنبر ، فرأيتُ في المنام النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم وأبا بكر عن يمينه ، وعمر عن شماله ، وعلى بن أبي طالب بين يديه . فحركني على رضي الله تعالى عنه وقال : قُمْ ، لقد جاء رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم .

فقمْتُ فقبلتُ بين عينيه ، فدفع إليّ رغيفاً فأكلت بعضه ، فانتبهت فإذا النصف الآخر بيدي ^(١) ، انتهى .

الدليل الرابع عشر: ذكر ابن تيمية في « الكلم الطيب » والحافظ ابن أبي جمرة في « شرح مختصر البخاري » عن ابن عمر ، وابن عباس رضي الله تعالى عنهما : أنَّ أحدهما خُدرت رجله ، ف قيل له : اذكر أحبَّ الناس إليك .

فقال : يا محمد ، فذهب الخُدرُ عن رجله ^(٢) .

فهذا يدلُّ على أنَّ نداء أحبَّ الناس إلى الإنسان ؛ ولو لم يكن نداء الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، جائزٌ ، وأنه مُذهبٌ لهذه العلة ، فكيف إذا كان رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ؟ !!

فلو كان نداء الغائب والميت ممنوعاً ، لكان هذان الصحابيَّان الجليلان أحقَّ بالمنع من ذلك ! ولهذا ذكر هذا الأثر ابن تيمية وابن القيم وغيرهما في الأذكار التي يُسنُّ استعمالها .

وذكر ابن الأثير في « تاريخه » الذي ذكر أنه اختصره من تاريخ

(١) لمزيد الوقوف على جملة من هذه الأخبار ، ينظر « مصباح الظلام » لابن النعمان المراكشي رحمه الله تعالى .

(٢) ينظر تخريج هذا الحديث في : « عمل اليوم والليلة » لابن السني ص ١٤١ .

ابن جرير السنن : أنَّ الصحابة الكرام رضى الله تعالى عنهم كان شعارهم في الحرب : « يا محمد » . وذكر مثله الواقدي في كتابه « فتوح الشام » .

وذكر السيوطي في « شرح الصدور » عن ابن الجوزي بسنده إلى بعض التابعين : أنهم لما أمرهم الكفار وراودوهم على الكفر وامتنعوا ، غلوا لهم زيتاً في قدر فألقوهم فيه ، فنادوا : « يا محمداه » .

ولا شك أنَّ هذا النداء في هذه المواضع المهلكة ، ماهو إلاَّ توسلٌ به صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، وطلبٌ لشفاعته صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، وإلاَّ فلا معنى لندائه .

وفي ترجمة سعيد بن عامر بن حذيم الصحابي رضى الله تعالى عنه قال : شهدت مصرع حبيب وقد بضعت قریش لحمه ، ثم حملوه على جذعة ، ثم نادى : « يا محمد » . فما ذكرت ذلك وتركى نصرته وأنا مُشرك ؛ إلاَّ ظننتُ أنَّ الله لا يغفر لي بذلك الذنب أبداً ، فتصيبني تلك الغنظة .. إلى آخر الأثر .

فهذا يدلُّ على أنَّ نداء النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم في الشدائد أمرٌ معهودٌ ، لأنَّ حبيباً رضى الله تعالى عنه فعل ذلك في مكة والنبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم في المدينة حينئذ ، والله تعالى أعلم .

وأما الألفاظ التي صدرت في زمانه صلى الله عليه وعلى آله وسلم مما فيها حصر الشفاعة به وأمثاله ذلك مما هو مثل قول البوصيري :

يا أكرم الخلق مالى من ألوذ به

سواك عند حلول الحادث العمم

فكثيرةٌ جداً ؛ منها ما ذكر القسطلاني في « المواهب اللدنية » في (باب الاستسقاء) عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقال : يا رسول الله ، أتيناك وما لنا

صبى يَغط، وبعير يَيط، وأنشد:

أَتَيْنَاكَ وَالْعِذْرَاءُ يَدْمِي لِبَانِهَا
وَقَدْ شُغِلْتُ أُمُّ الصَّبِيِّ عَنِ الطِّفْلِ
وَلَيْسَ لَنَا إِلَّا إِلَيْكَ فِرَارُنَا

وَأَيْنَ فِرَارُ النَّاسِ إِلَّا إِلَى الرَّسْلِ

فقام رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يجرُّ رداءه ورفع يديه
إلى السماء ثم قال: «اللهم اسقنا غيثاً مغيثاً مريعاً غدقاً طبقة نافعاً
غير ضار عاجلاً».

قال رضى الله تعالى عنه: فما ردَّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم
يديه إلى نحره؛ حتى ألقت السماء بأبراقها، وجاء أهل البطانة يضحون:
الغرق الغرق.

قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «حوالينا ولا علينا»
فانجاب السحاب عن المدينة حتى أحدق بها كالإكليل، وضحك رسول الله
صلى الله عليه وعلى آله وسلم حتى بدت نواجذه، ثم قال: «لله درُّ أبى
طالب، لو كان حياً لقرت عيناه من يُنشدنا قوله؟».

فقال على رضى الله تعالى عنه: يارسول الله، كأنك تعنى قوله:

وَأَبْيَضَ يَسْتَسْقَى الْغَمَامُ بِوَجْهِهِ
ثُمَّ أَلُ الْيَتَامَى عَصْمَةً لِلْأَرَامِلِ
يُطِيفُ بِهِ الْهَلَاكُ مِنْ آلِ هَاشِمٍ

فهم عنده فى نعمة وفواضل

فقال صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «أجل»، رواه البيهقى.

قال القسطلانى رحمه الله تعالى: والشمال - بكسر الشاء - : اللجاء
والغيث فى الشدة. وعصمة للأرامل: يمنعهم عن الضياع والحاجة،

والأرامل : المساكين .

وروى ابن عبد البر فى « الاستيعاب » فى ترجمة سواد بن قارب
الصحابى رضى الله تعالى عنه وقوله فى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله
وسلم :

وَكُنْ لى شَفِيعاً يَوْمَ لا ذُو شَفَاعَةٍ

بِمَغْنٍ فَتِيلاً عَنْ سَوَادِ بْنِ قَارِبٍ

ونقل ذلك جميع أهل السير فى معجزاته صلى الله عليه وعلى آله
وسلم ، لأن الجنَّ أمروا سواداً بالإسلام به صلى الله عليه وعلى آله وسلم ،
فأتاه وأسلم وأنشد النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم أبياتاً ، هذا البيت
منها .. ومنها :

وَأَشْهَدُ أَنَّ اللَّهَ لا رَبَّ غَيْرَهُ

وَأَنَّكَ مَأْمُونٌ عَلَى كُلِّ غَائِبٍ

وَأَنَّكَ أَدْنَى الْمُرْسَلِينَ وَسِيلَةَ

إِلَى اللَّهِ يَا ابْنَ الْأَكْرَمِينَ الْأَطْيَابِ

فلم ينكر النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم طلب الشفاعة منه
فى القيامة ، وجعله وسيلةً ، وأنه مأْمُونٌ عَلَى كُلِّ غَائِبٍ .

وعن ابن عساكر من طريق أبى الزبير ، عن جابر رضى الله تعالى
عنه ، أَنَّ امْرَأَةً مِنْ قُرَيْشٍ عَارِضَتْ سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ ، فَأَنْشَدَتْ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ :

يَا نَبِيَّ الْهَدَى إِلَيْكَ لَجَائِي

لِقُرَيْشٍ وَلَاتَ حِينَ لَجَاءِ

حِينَ ضَاقَتْ عَلَيْهِمْ سَعَةُ الْأَرْضِ

وَعَادَاهُمْ إِلَهُ السَّمَاءِ

إن سعاداً يريد قاصمة الظهر

بأهل الحَجُون والبطحاء

فلما سمع هذا الشعر صلى الله عليه وعلى آله وسلم ؛ دخلته رافةٌ لهم ورحمة ، فأمر بالراية فأخذت من سعد ودُفعت إلى ابنه قيس .
وذكر القسطلاني في : « المواهب » أنَّ عمته صفية رضى الله تعالى عنها رثته بمرأى ، منها قولها :

ألا يا رسول الله كنت رجاءنا

وكنيت بنا براً ولم تك جافيا

وكنيت رحيماً هادياً ومعلماً

ليبك عليك اليوم من كان باكيا

إلى آخر كلامها رضى الله تعالى عنها ..

وذكر ابن القيم في كتابه « كتاب الكبائر » في السُّنة ، و« البدعة » في بيان بدعة الرّفص ، قال الشيخ الحافظ السُّلفى نزيل الإسكندرية بسنده إلى يحيى بن عَطّاف المُعدل ، حكى عن شيخ دمشق جاور بالحجاز سنيين قال :

كنت بالمدينة المنورة في سنة مُجدبة ، فخرجت يوماً إلى السوق لأشتري دقيقاً برُباعى ، فأخذ الدَّقاق الرُّباعى وقال لى : العن الشيخين حتى أبيعك الدقيق .

فامتنعت من ذلك ؛ فراجعنى مرات وهو يضحك . فضجرتُ منه وقلتُ : لعن الله من يلعنهما .

قال : فلطم عينى فسالت على خدى ؛ فذهبت إلى صاحب لى فأخبرته ، فرجعت إلى المسجد فجئت الحجرة فقلت : السلام عليك يا رسول الله ، قد جئناك مظلومين فخذ بشارنا ، ثم رجعنا .

فلما جنّ الليل نمتُ ؛ فلما استيقظتُ وجدتُ عيني صحيحةً
أحسن ما كانت ، .. إلى آخر ما قال .

وذكر ابن القيم رحمه الله تعالى في هذين الكتابين عن كمال
الدّين بن العديم في : « تاريخ حلب » قال : أخبرني أبو العباس أحمد بن
عبد الواحد ، عن شيخ من الصالحين يُعرف بـ : عمر بن الرعيني قال :
كنت مقيماً بمدينة الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم فخرجت بعض
السنين في يوم عاشوراء الذي تجتمع فيه الإمامية لقراءة المصراع في قبة
العباس ، فوقفت على باب القبة فقلتُ : أريد شيئاً في محبة أبي بكر .
قال : فخرج إليّ واحدٌ منهم وقال : اجلس حتى أفرغ .

قال : فلما خرج ؛ أخذ بيدي ومضى بي إلى داره وأنا أظنُّ أنه
يريد أن يعطيني شيئاً فقال : أدخل . فدخلتُ فسَلَطَ عليّ عَبدَين فكتفاني
وأوجعاني ضرباً ، ثم أمرهما فقطعا لساني ، ثم قال : اخرج إلى الذي
طلبت لأجله ليردّ عليك لسانك .

قال : فخرج من عنده مقطوع اللسان ، فجاء وهو يستغيث من
الوجع إلى حجرة النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم وجعل يقول :
يا رسول الله . قُطِعَ لساني في محبة صاحبك . فإن كان صاحبك حقاً ؛
فأحبُّ أن ترجع عليّ لساني . وبات يستغيث بقلبه .

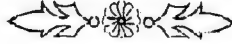
قال : فأخذتني سنةٌ من النوم ، فاستيقظ فوجد لسانه في فيه
صحيحاً كما كان^(١) ، وأن الذي قطع لسانه من الرافضة انقلب قرداً .

وفي السنة الثانية ذهب إلى ذلك المكان فوجد ابنه ، فأسلم هو
وأهله وولده وتابوا من الرفض .

ففي هذين النقلين لابن القيم عن أكابر المحدثين وإقرارهما ورضاه

(١) ونحوه ما رواه الإمام ابن دحية الأندلسي بسنده في كتابه : « الآيات البينات في
ذكر ما في أعضاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من المعجزات » ص ٣٨٤ إلى =

بهما ولم يتعرض لهما باعتراض ، بل ذكرهما في مقام الافتخار بالاستغانة
بسيد المرسلين ، وأن شفاعته صلى الله عليه وعلى آله وسلم ثابتة .
وكفى بنقل هذا العالم الذي هو معلومٌ تشديده في مثل هذه
الأمر ، مع أن في هذين النقلين النداء له صلى الله عليه وعلى آله وسلم
والسؤال منه ؛ ماهو عظيمٌ خارقٌ للعادة .



= مسند هرة الشيخ أبو عمر عبد الواحد المليحي قال : دخلت على الحاكم أبي
عمرو حفيد الحسن بن سفيان النسوي بنيسابور وكان معه شيخٌ يقال له : علان .
فقال له الحاكم : اقصص حديثك على هذا - عناني -

فقال : كنت في بلد الرى ، وكنت أذكر فضائل الشيخين أبو بكر وعمر رضى
الله عنهم ، فأنتهى ذلك إلى الصاحب ، فأمر بأخذى ففررت منه إلى جرجان ، وكنت
يوماً في سوقها إذا أنا بقوم جاؤونى وشدونى إلى حمارة فحملت إلى الرى . فلما
أدخلت ثم ؛ أمر الصاحب بقطع لسانى ، فقطع ذاك ، وكنت على حالةٍ من الألم
وضيق الصدر

فلما أن دخل الليل ، رأيت فيما يرى النائم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
ومعه أبو بكر وعمر وجماعة من أصحابه رضى الله تعالى عنهم ، فقالوا : يارسول الله ،
هذا أيصيب فينا . فدعاني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ونفث في فمى ،
فانتبعت وليس بى شيء من الوجع ، ورد على الكلام ، وخرجت من ولايته إلى همدان
وكانوا أهل السنة ، فقصصت عليهم قصتى وظهر لى هناك قبول ، وكنت ثم مدة
أنشر من فضائل الشيخين .

قال عبد الواحد : ففتح لنا علان فاه فما رأينا فيه لساناً ، شاهدناه على ذلك
وكان يكلمنا بكلام فصيح كما يكلم ذو اللسان . انتهى منه .

وأورد الإمام ابن النعمان المراكشى المتوفى سنة ٦٨٣هـ كثيراً من مثل هذه
القصص فى كتابه « مصباح الظلام » وكذا الإمام ابن أبى الدنيا فى كتابه « مجابى
الدعوة » .

اقوال العلماء في مشروعية ندائه وطلب الشفاعة منه صلى الله عليه وآله وسلم

وأما قول العلماء في ندائه صلى الله عليه وعلى آله وسلم وطلب الشفاعة منه ؛ فكثيرٌ لا يدخل تحت الحصر ، ولكن نذكر منه نبذة يسيرة من أقوال أئمة المذاهب الأربعة ، منهم ابن تيمية ، وابن القيم وبقية فقهاء الحنابلة .

ولنقدّم عبارة ابن تيمية لأنها عند هؤلاء ؛ تطمئن قلوبهم لأقواله أكثر من اطمئنانهم بالآيات القرآنية ، والأحاديث الصحيحة النبوية .

فنقول : قال ابن تيمية رحمه الله تعالى في « فتاواه » : سئل فيمن يقول : لا يُستغاث برسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، فهل يحرم هذا القول ، أم لا ؟ وهل هو كفرٌ ويُكفرُ به قائله ، أم لا ؟ وإذا استدل القائل به بآيات من كتاب الله وأحاديث رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، فهل ينفعه ذلك الدليل ، أم لا ؟ وإذا قام الدليل من الكتاب والسنة ، فما يجب على من خالفه في ذلك ، والحالة هذه ؟ .

الجواب : الحمد لله رب العالمين ، قد ثبت بالسنة المستفيضة بل المتواترة واتفاق الأئمة ؛ أن نبينا سيدنا محمداً صلى الله عليه وعلى آله وسلم هو الشافع والمشفع ، وأنه يشفع في الخلائق يوم القيامة ، وأن الناس يستغيثون به ويطلبون منه أن يشفع لهم إلى ربهم ، وأنه يشفع لهم . ثم اتفق أهل السنة والجماعة أنه يشفع في أهل الكبائر ، فإنه لا يُخلد في النار من أهل التوحيد أحد .

وأما الخوارج والمعتزلة فأنكروا شفاعته للمؤمنين ، وهؤلاء مبتدعة ضلال ، وفي تكفيرهم نزاعٌ وتفصيل ، وأما من أنكر ما ثبت بالتواتر والإجماع ، فهو كافر بعد قيام الحجة عليه ، وسواء سَمِيَ هذا المعنى استغاثة ، أو لم يُسمه .

وأما من أقر بشفاعته وأنكر ما كان الصحابة يفعلونه من التوسل والاستشفاع به كما روى البخارى في « صحيحه » عن أنس بن مالك أن عمر ابن الخطاب رضى الله تعالى عنه كان إذا قحطوا ؛ استسقى بالعباس بن عبدالمطلب وقال : « اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا صلى الله عليه وعلى آله وسلم فتسقيننا ، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا » ، فيسقون .

وفى « سنن أبى داود » أن أعرابيا قال للنبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم : جهدت الأنفس وجاع العيال وهلك المال ، فإنا نتشفع بك على الله ، ونتشفع بالله عليك .

فسبح رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم حتى عرف ذلك فى وجوه أصحابه ، وقال : « ويحك ، إن الله لا يستشفع به على أحد من خلقه ، شأن الله أعظم من ذلك » ... وذكر تمام الحديث .

فأنكر صلوات الله وسلامه عليه قوله : « نستشفع بالله عليك » ، ولم ينكر قوله : « نستشفع بك على الله » بل أقره عليه .
فَعَلِمَ جَوَازَهُ ؛ فمن أنكر ذلك فهو مُخْطِئٌ مُبْتَدِعٌ ، وفى كُفْرِهِ نزاعٌ وتفصيل .

وأما من أقر بما ثبت بالكتاب والسنة والإجماع من شفاعته صلى الله عليه وعلى آله وسلم والتوسل به ونحو ذلك ولكن قال : لا يُدْعَى إِلَّا الله وأن الأمور التى لا يقدر عليها إِلَّا الله ، فلا تُطْلَبُ إِلَّا من الله مثل : غفران الذنوب ، وهداية القلوب ، وإنزال المطر ، وإنبات النبات . فهو مصيبٌ فى

ذلك ، بل هذا مما لا نزاع فيه بين المسلمين .

إلى أن قال : كما روى الطبراني في معجمه « الكبير » أنه كان في زمان النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم منافق يؤذى المؤمنين ، فقال أبو بكر رضى الله تعالى عنه : قوموا نستغيث برسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم من هذا المنافق .

فقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « إنه لا يستغاث بى ، وإنما يستغاثُ بالله (١) » .

وإنما أراد به النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم المعنى الثانى ؛ وهو أن يُطلب منه ما لا يقدر عليه إلا الله ، وإلا فالصحابة كانوا يطلبون منه الدعاء ، ويستسقون به كما فى « صحيح البخارى » عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما قال : ربما ذكرتُ قول الشاعر وأنا أنظر إلى وجه رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يستسقى ، فما ينزل حتى يجيش له الميازيب .

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه

ثم الـ اليتامى عصمة للأرامل

وهو قول أبى طالب ، ولهذا قال العلماء المصنفون فى أسماء الله تعالى : يجب على كل مُكلف أن يعلم أن لا غيات ولا مُغيث على الإطلاق ؛ إلا الله . وأن كلَّ غوثٍ فمن عنده ، وإن كان جعل ذلك على يد غيره ، فالحقيقة له سبحانه وتعالى ، ولغيره مجازاً ...

إلى أن قال : والاستغاثة بمعنى أن يُطلب من الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم ما هو اللائق به ، لا ينازع فيها مسلم . ومن نازع فى هذا المعنى فهو إما كافرٌ إن أنكر ما يكفر به ، وإما مخطئٌ ضالٌّ . ومن أثبت لغير الله ما لا يكون إلا لله فهو أيضاً كافرٌ إذا قامت عليه الحُجة التى يكفر تاركها ...

(١) الحديث ضعيف الإسناد ، فيه ابن لهيعة .

إلى أن قال : ومن خالف ما ثبت بالكتاب والسنة ؛ فإنه يكون إما كافراً ، وإما عاصياً ، إلا أن يكون مؤمناً مجتهداً مخطئاً ؛ فيثاب على اجتهاده ، ويُغفر له خطؤه . وكذلك إن كان لم يبلغه العلم الذى تقوم عليه به الحجة الثابتة بالكتاب والسنة » ، انتهى .

فانظر إلى هذه الفتيا ؛ فإنها فائدة عظيمة ، ومنحة جسيمة ، كم فيها من زجر ونهي لهؤلاء الضلال :

الأول : قوله : « ثبت بالسنة المتواترة أن نبينا صلى الله عليه وعلى آله وسلم الشافعُ المُشفع ، وأنَّ الناس يستغيثون به ويطلبون منه أن يشفع لهم إلى ربهم ، وأنَّ الذى ينكر شفاعته صلى الله عليه وعلى آله وسلم الخوارج والرافضة » . وهذا هو قول صاحب « البردة » :

يا أكرم الخلق مالى من ألود به

سواك عند حلول الحادث العمم

فإن مُرادَه : الإخبار أنه لا يشفعُ ذلك اليوم ولا يلوذ الناس به للشفاعة ؛ إلا هو صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، بدليل قوله :

ولن يضيق رسول الله جاهك بى

إذا الكريم تجلى باسم منتقم

الثاني : ولئن سلّمنا أنه طلبٌ وسؤالٌ ؛ فقد قال رحمه الله تعالى : « والاستغاثة بمعنى أن يُطلب من النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم ما هو اللائق به ؛ لا ينازع فيه مُسلم ، ومن نازع فى هذا المعنى ؛ فهو إما كافراً أو مخطئاً ضالاً » .

ولا شك أن صاحب « البردة » وغيره ، طلبهم منه صلى الله عليه وعلى آله وسلم الشفاعة ، وهذا هو اللائق به كما قال أنه صلى الله عليه

وعلى آله وسلم الشافع المَشْفَع بالأحاديث المتواترة، وليس مقصوده غفران الذنوب منه مثلاً، فإنَّ هذا خاصٌّ بالله تعالى، بل مُرادُه بالتشفع به دعاؤه صلى الله عليه وعلى آله وسلم وشفاعته عند الله حتى يغفر ذنوب الطالب منه الشفاعة، بل لا يقصد به عوامُّ المسلمين غير هذا؛ فضلاً عن العلماء.

الثالث: قوله: «ولهذا قال العلماء المصنفون في أسماء الله تعالى: يجب على المكلف أن يعتقد أن لا مُغيث ولا غياث على الإطلاق إلاَّ الله، وأنَّ كلَّ غوثٍ فمن عنده؛ وإنَّ جعل ذلك على يد غيره، فالحقيقة له سبحانه وتعالى، ولغيره مجازاً».

وهذا هو الفارق بين الموحِّد والمُشْرِك في كلِّ شيء، ومع كلِّ أحدٍ حيٍّ أو ميت. كما ترى كلام الشيخ ابن تيمية فإنه يقول: إنَّ الممنوع طلب ما لا يقدر عليه إلاَّ الله؛ وهو: غفران الذنوب وهداية القلوب، وإنبات النبات الذي يكون على الإطلاق. وحمل عليه قوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم لأبي بكر رضى الله تعالى عنه: «إنه لا يستغاث بي، وإنما يستغاثُ بالله» أى لا يستغاث بي ما لا يقدر عليه إلاَّ الله، وهو الذى تقدم لا الشفاعة، فإنها هي التى يَقْدِرُ عليها النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم وغيره، وليست الشفاعة من شأن الله تعالى كما قال صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «إنَّ الله أجَلٌّ من أن يُشْفَعَ به إلى أحد».

الرابع: قوله فى آخر الفتيا: ومن خالف ما ثبت بالكتاب والسنة، فإنه يكون إما كافراً، وإما عاصياً، إلاَّ أن يكون مؤمناً مجتهداً مُخطئاً، فيثاب على اجتهاده، ويُغفر له خطؤه، وكذلك إن كان لم يبلغه العلم الذى تقوم به الحجة عليه...

فهذه العبارة رادةٌ على من يُكفر المسلمين مُطلقاً كهؤلاء

الخوارج، ولا يعذرون المجتهد المخطيء، ولا الجاهل الذي لا يعلم، فقد قال الشيخ تقي الدين: «بأن هذا يُقَابُ على اجتهداه ويغفر له خطأه». وللشيخ فتياً أخرى وجوابٌ هل أبسطُ من هذا، ومعناه يؤول إلى ذلك، فارجع إليه إن أردته في أماكنه.

وقال الشيخ في «اقتضاء الصراط المستقيم»: وما روى أن رجلاً جاء إلى قبر النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم فشكا إليه الجدب عام الرمادة، فرآه وهو يأمره صلى الله عليه وعلى آله وسلم أن يأتي عمر رضي الله تعالى عنه فيأمره يستسقى بالناس.

قال: فمثل هذا يقع كثيراً من هو دون النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وأعرف من هذا وقائع. وكذلك سؤال بعضهم للنبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم حاجة أو غيره من أمته فتقضى، فإن هذا وقع كثيراً، ولكن عليك أن تعلم أن إجابة النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أو غيره من أمته لهؤلاء السائلين؛ لا يدل على استحباب السؤال، وأكثر هؤلاء السائلون الملحّين لما هم عليه من ضيق الحال؛ لو لم يُجابوا لاضطرب إيمانهم كما كان السائلون له في حياته صلى الله عليه وعلى آله وسلم كانوا كذلك، انتهى^(١).

فدل كلامه هذا: أن السائلين للحاجات من النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم وغيره لا يُستحبُّ لهم عنده، وعند غيره يُستحب، ولم يقل أحدٌ بناءً على قول الشيخ أن فاعل غير المستحب يكون كافراً ولا أثماً، ويدل عليه قوله: «لو لم يُجابوا لاضطرب إيمانهم»، فثبت لهم الإيمان ولم ينفع عنهم. وللشيخ نصوصٌ بهذا المعنى كثيرة في «اقتضاء الصراط المستقيم».

(١) تقدم ذكر هذه العبارة من قول المعترض، ويفعل هؤلاء من ترديد عبارات توافق هواهم من كلام ابن تيمية ولا يذكرون عنه العبارات التي توافق جماهير الأئمة.

وهذا النجدي قد حَرَفَ هذه النصوص وَلَبَّسَهَا في كلامه ، فارجع إلى هذا الكتاب وانظر نقلنا من نقله ، ليظهر لك علمه من جهله .

وقال موفق الدين بن قدامة الحنبلي رحمه الله تعالى في كتابه «المغنى» شرح «الخرقي» وهو شيخ [شيوخ] ابن تيمية حتى قال فيه كما نقله ابن رجب وابن العماد الحنبلي في «الشذرات» : «مادخل الشام بعد الأوزاعي أفقه من الشيخ موفق .

وقال الحافظ الضياء المقدسي رحمه الله تعالى : رأيتُ الإمام أحمد رحمه الله تعالى في النوم فقال : ما قصرَ صاحبك موفق في شرح «الخرقي» .

وقال عز الدين ابن عبد السلام رحمه الله : ما رأيتُ في الإسلام مثل «المغنى» للموفق في جودته وتحقيق ما فيه .

قال رحمه الله تعالى : «ويروى عن العُتبي رحمه الله تعالى قال : كُنْتُ جالِساً عند قبر النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، فجاء أعرابي فقال : السلام عليك يا رسول الله ، سمعت الله يقول : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّاباً رَحِيماً ﴾ وقد جئتكَ مستغفراً من ذنبي ، مُستشفعاً بك إلى ربي .

ثم أنشد يقول :

ياخير من دفنت في الأرض أعظمه

وطاب من طيهنَّ القاع والأكم

روحي فداءً لقبرٍ أنت ساكنه

فيه العفاف وفيه الجود والكرم

فانصرف الأعرابي فحملتني عيني ، فرأيت النبي صلى الله عليه

وعلى آله وسلم فقال : « يا عُبَيْي ، الحق الأعرابي فبشره أن الله قد غفر له » .
 فيستحب لمن دخل المسجد أن يُقدم رجله اليمنى ...
 إلى أن قال : اللهم إني قلت وقولك الحق : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا
 أَنْفُسَهُمْ ﴾ الآية ، وقد أتيتك مستغفرا من ذنبي ، مستشفعا بك إلى ربي
 ... إلخ » .

فقوله : « مستشفعا » إلخ ، طالبا منه الشفاعة ، لأن (السين)
 للطلب ، فَخَطَابُهُ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وَطَلَبَ
 الشفاعة ؛ دليل على أن ذلك مستحب .

وذكر شمس الدين ابن قدامة الحنبلي في « الشرح الكبير » وهو
 شرح « المقنع » في آخر الحج في « باب زيارة النبي صلى الله عليه وعلى آله
 وسلم » هذه الرواية عن العتبي ، وذكر للزائر أن يخاطب النبي صلى الله
 عليه وعلى آله وسلم ويطلب منه صلى الله عليه وعلى آله وسلم الشفاعة .
 وهذا « الشرح الكبير » نحو خمسة عشر مجلداً ، نقل منه ابن
 عبد الوهاب في « مختصره » الذي في الفقه ، وهو أيضا من مشايخ شيوخ
 ابن تيمية .

قال الذهبي : رأيت بخط شيخنا شيخ الإسلام ابن تيمية ما نصه :
 توفي سيد أهل الإسلام في زمانه ، وقطب فلک الأيام في أوانه ،
 وحيد الزمان حقاً حقاً ، وفريد العصر صدقاً صدقاً ، الجامع لأنواع المحاسن
 والمعالى ، البرئ عن جميع النقائص والمساوى ، حتى إن كان المُتَعَنِّتَ
 ليطلب له عيباً ، فيعوزه ... إلى آخر كلامه ، ذكره ابن العماد في
 « الشذرات » .

وقال ابن مفلح في « شرح المقنع » : « قال في المذهب : يجوز أن

يُتَشَفَّعُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِرَجُلٍ صَالِحٍ ، وَقِيلَ : يَسْتَحِبُّ .

قال أحمد في « منسكه » الذي كتبه للمروزي : إنه يتوسل بالنبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم في دعائه ، وجزم به في « المستوعب » وغيره انتهى .

وذكر في « المستوعب » رواية العُتْبَى ، وذكر الآية ، وقال كما في « المغنى » و« الشرح الكبير » وزاد : « اللهم إني أتوجه إليك بنبيك صلى الله عليه وعلى آله وسلم نبي الرحمة ، يا رسول الله ، إني أتوجه بك إلى ربي ليغفر لي ذنوبي . اللهم إني أسألك بحقه أن تغفر لي ذنوبي » ، انتهى .

وهذا الذي ذكر الإمام أحمد في « منسكه » للمروزي ، كما قال في « المبدع » وجزم في « المستوعب » فهذه العبارة التي تقدمت ؛ هي عبارة « المستوعب » .

وفي « مغنى ذوى الأفهام » لابن عبد الهادى رحمه الله - وهو من تلاميذ [التلاميذ] لابن تيمية : « ويجوز التوسل بالصالحين أحياء وأمواتاً » ، وجعل عليه علامة المذاهب الأربعة .

وفي « الرعاية الكبرى » لابن حمدان في « باب الاستسقاء » : « ويباح التوسل بمن يُرجى الإجابة من الصالحاء والعلماء وغيرهم .

قلت : وإن بعدوا أو قربوا ، ولم يخرجوا مع الناس » . انتهى .

قال ابن مفلح في « الفروع » : « ويجوز التوسل بالنبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم في دعائه ، وجزم به في « المستوعب » وغيره ، وجعلها شيخنا كمسألة اليمين به صلى الله عليه وعلى آله وسلم .

قال : والتوسل بالإيمان به صلى الله عليه وعلى آله وسلم وطاعته ومحبته ، وبدعائه وشفاعته ونحوه مما هو من فعله ، أو أفعال العباد المأمور

بها في حقّه ؛ مشروعٌ وهو من الوسيلة المأمور بها في قوله تعالى : ﴿ اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ ﴾ ، انتهى .
ولا شك أن صاحب « البردة » متوسلٌ بشفاعته صلى الله عليه وعلى آله وسلم في قوله :

يا أكرم الخلق مالى من ألوذ به
سواك عند حلول الحادث العمم
وهو الشفاعة يوم القيامة ، ولهذا قال بعده :
ولن يضيق رسول الله جاهك بى
إذا الكريم تجلى باسم منتقم

وأما صفة التوسل الذى كتبه الإمام أحمد للمروزي رحمهما
الله تعالى وجزم به فى « المستوعب » ، فهو ما ذكرناه عنه سابقا ، وليس فى
« المستوعب » غيره . وهو قوله : يارسول الله ، إنى أتوجه بك إلى ربى ليغفر
لى ...

وفى « الغنية » عن سيدنا الشيخ عبد القادر الجيلى الحنبلى فى
« باب الزيارة » : اللهم إنى أتوجه إليك بنبيك نبي الرحمة . يارسول الله ،
إنى أتوجه بك إلى ربى ليغفر لى ذنوبى ، اللهم إنى أسألك بحقه أن تغفر
لى .

وذكر الشيخ يحيى الصرصرى فى شعره الاستغاثة برسول الله
صلى الله عليه وعلى آله وسلم وهو من أقران مجد الدين جدّ الشيخ تقي
الدين ابن تيمية وأثنى عليه تقي الدين فى كتابه « الانتصار » فقال : الفقيه
الصالح صاحب الشعر المشهور ، وذكر شيئا فى مدح الإمام أحمد رحمه الله

تعالى ، وأنه مدحه في شعره ، وهى قصيدة اللّامية التى فيها العقيدة فى آخرها :

ولست من الخطب الملم بخائفٍ
وأنت لدى كلّ الحوادث لى ولى
بعدها خاطبه بقوله :

لأنت إلى الرحمن أقوى وسيلةٍ
إليه بها فى الحادثات توسلى
وسلّ لى ربّ العالمين يُميتنى
على السنّة البيضاء غير مُبدّلٍ
وقال فى قصيدة أخرى :

ألا يا رسول الله أنت وسيلتى
إلى الله إن ضاقت بما رمتُ حيلتى
إلى أن قال :

وأنت نصيرى فى خُطوبٍ تتابعت
علىّ وذُخرى عند فقرى وعيلتى
وقال فى أخرى :

يا سيدى يا رسول الله يا سدى
فى كلّ خطبٍ ثَقِيلٍ موجع الألمِ
يا من إذا فرّ مطلوب أخو رهبٍ
إليه من فاقرات الدهر لم يضم

فاستغفر الله لى يا من إذا نزلت
بى شدةً فبه أنجو من النقم
واقبل تضرع عبدٍ واثقٍ بك فى
دفع الخطوب العوادى عنه معتصم
وقال فى أخرى :

أتوخى بها رضاك فعجل
جبر يحيى بن يوسف الحنبلى
وقال :

بك أستجير وأستغيث وأرتجى
أنى بجاهك فى المعاد أفوز

وكلّ ديوانه هكذا ، وديوانه مشهور فى أقطار الدنيا من قبل زمان
ابن تيمية إلى يومنا هذا ، فلم يعترض عليه أحدٌ ، بل مدحه تقى الدين بن
تيمية بقوله : الفقيه الصالح صاحب الشعر المشهور . فلو كان نداء النبى
صلى الله عليه وعلى آله وسلم والسؤال منه وطلب شفاعته شركاً وكُفراً ،
لتكلم عليه وذمه وحذر الناس من شعره ، والتكلم به والنظر فيه .

فلما لم يتكلم عليه أحدٌ من جميع العلماء من زمانه إلى يومنا
هذا ؛ دلّ على أن هذه الأمور ليست من الشرك الأكبر ، بل ولا من الشرك
الأصغر ، لأن الشرك الأصغر وإن لم يكن مُخرجاً عن الملة ، فهو مُحَرَّمٌ أو
مَكْرُوهٌ مسقطٌ للعدالة .

وقد أثنى على الصرصرى رحمه الله تعالى العلماء ومدحوه على
الشعر ، منهم تقى الدين ابن تيمية ، ومنهم ابن رجب فى «الطبقات» ،

ومنهم عبد الحمى ابن العماد الشامي الحنبلى فى كتابه « شذرات الذهب » وغيرهم من المؤرخين .

قال ابن رجب فى « الطبقات » فى ترجمته : « وديوانه ومدائحه سائرة ، وكان حسان وقته ، وقرأ القرآن بالروايات ، وعلى أصحاب الحديث : « إذا أعيتكم الأمور ، فاستعينوا بأهل القبور » ، انتهى .

وفى « شرح الإقناع » وغيره فى « باب الحج » كما فى « الشرح الكبير » و« المغنى » من طلب الشفاعة منه صلى الله عليه وعلى آله وسلم والتوسل به .

وذكر ابن عساكر رحمه الله تعالى البطائحي [فقال] : « وسمع الحديث على ابن إدريس اليعقوبى الزاهد صاحب الشيخ عبد القادر ، وأجاز له الشيخ عبد المغيث الحربى وغيره ، وحفظ الفقه واللغة ، وكان يتوقد ذكاءً ويقال : إنَّ مدائحه بالنبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم تبلغ عشرين مجلداً ، وكان صالحاً قُدوةً ، كثير التلاوة عظيم الاجتهاد ، صبورا قنوعا مُحبا لطريقة الفقراء ، وكان يحضر معهم السَّماعَ ويُرخص فى ذلك ، وكان شديداً فى السُّنة مُنحرفا على المخالفين لها ، وشعره مملوءٌ بذلك - أصول السُّنة - ، وكان رأى النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم فى منامه وبشره بالموت على السُّنة ، ونظم فى ذلك قصيدةً طويلةً معروفة ، وسمع منه الحافظ الدمياطى وحدث عنه ، وذكره فى « معجمه » ، انتهى .

وقال الشيخ شبيب بن حمدان أخو صاحب « الرعايتين » الحنبلى الحرانى ، وهو ابن عمِّ مجد الدين ابن تيمية : عارض « بانت سعاد » بقصيدة عظيمة منها قوله يُخاطب النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم :

فاشفع لقائلها يا من شفاعته

تفكُّ من هو مكبوتٌ ومكبول

وطبقته سنة خمس وتسعين وست مئة .

ومن قصيدته كما قال ابن العماد الحنبلي في « الشذرات » نقلاً عن
« طبقات » ابن رجب :

مجدّ كبا الوهم عن إدراك غايته

وردّ عقل البرايا وهو معقول

طوبى لطيبة بل طوبى لكل فتى

له بطيب ثراها الجعد تقبيل

وفي « منسك » الشيخ سليمان بن علي ، مثل مافي « المغنى » شرح
« الخرقي » ، و « الشرح الكبير » من طلب الشفاعة من النبي صلى الله عليه
وعلى آله وسلم وفي « حاشية الزاد » للعتيلي الحنبلي : التوسل بالأنبياء
والأولياء والصالحين جائز ، وذكر الحديث : « إذا أعيتكم الأمور ، عليكم
بزيارة القبور » .

وهذه النصوص في كتب عندي مع قصر باعى وقلة اطلاعى ، وقد
تركت كثيرا منها خوف السامة والملامة ، ومن لم ينفعه الله تعالى ؛ لم ينفع
نصح المأل له .

فهذه نصوص ابن تيمية وعلماء الحنابلة ، بل نص الإمام أحمد
رحمه الله تعالى في « منسكه » للمروزي ، فقد أطبق متقدموهم ومتأخروهم
على ندائه وخطابه وطلب الشفاعة منه صلى الله عليه وعلى آله وسلم .
فكيف يصح أن يقال : هذا كفر وشرك ، فهل هذا إلا جهل وإفك
على نصوص العلماء الأعلام !!!

أمّا نصوص الأئمة الحنفية ؛ فقد ذكروا في باب الزيارة وغيرها ،
ولم أعلم خلافا عنهم في هذه المسألة .

قال صاحب « المختار للفتوى » وشرحه وهو من متقدمى الحنفية فى آخر الحج فى « باب الزيارة » : « فيقول : يارسول الله ، نحن وفدك وزوار قبرك جئنا من بلاد شاسعة ونواحى بعيدة قاصدين قضاء حقك ، والنظر إلى مآثرك والقيام بزيارتك ، والاستشفاع بك إلى ربنا ، فإن الخطايا قد أثقلت ظهورنا ، وأنت الشافع المشفع الموعود بالشفاعة والمقام المحمود ، وقد قال تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ﴾ إلخ ، وقد جئناك ظالمين لأنفسنا ، مستغفرين لذنوبنا ، فاشفع لنا عند ربنا ، واسأله أن يميتنا على سنتك . الشفاعة يارسول الله ، الشفاعة يارسول الله ، الشفاعة يارسول الله » انتهى .

وقد أطبق علماء الحنفية على مثل هذه العبارة .

قال الشيخ على القارى رحمه الله تعالى فى كتابه^(١) فى زيارة النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « ويتوسل به صلى الله عليه وعلى آله وسلم فى حق نفسه ويتشفع به إلى ربه . قال أهل المناسك من جميع المذاهب : ومن أحسن مايقول ؛ ما جاء عن ابن عتيبة - أى أثر الأعرابى الذى جاء إلى قبره صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، فقد تقدم - .

قال : وينبغى أن يكثّر الاستغفار ويستدعى منه صلى الله عليه وعلى آله وسلم أن يستغفر له فيقول : نحن وفدك وزوار قبرك يارسول الله ، جئنا لقضاء حقك والتبرك بزيارتك والاستشفاع بك مما أثقل ظهورنا وأظلم قلوبنا ، فليس لنا شفيع غيرك نؤمله ، ولا رجاء غير بابك نطلبه ، فاستغفر واشفع لنا إلى ربك يا شفيع المذنبين ، واسأله أن يجعلنا من عباده الصالحين . انتهى .

وذكر الطرابلسى رحمه الله تعالى فى « مناسكه » ونقل صاحب « الدر » فى الحج عنه ، فذكر مثل عبارة شرح « المختار » المتقدمة ، وكذا فى

(١) هو كتاب : « الدرّة المضية فى الزيارة المصطفوية » .

« مناسك » الكرمانى الحنفى ، وفى « مناسك » الفارسى عن أبى الليث السمرقندى .

وقال الشيخ خير الدين الرّملى رحمه الله تعالى فى « الفتاوى الخيرية » قال : وأما قولهم : شىء لله ياعبد القادر . فهو نداء ، وإذا أُضيف شىء لله ؛ فما الموجب لحرمته ؟ ! وردّ على المنكر لهذه الكلمة بأبلغ الردّ .

وقال السيد أحمد الحموى الحنفى مُحشّى « الأشباه » فى رسالته « نفحات القرب والاتصال » قال : « وأما بعد مماتهم ، فتصرفهم إنما هو بإذن الله تعالى وإرادته ، لا شريك له خلقاً وإيجاداً ، أكرمهم الله به وأجراه على أيديهم وبسببهم خرقاً للعادة ، تارة بإلهام ، وتارة بدعائهم ، وتارة بفعلهم واختيارهم ، وتارة بغير اختيارهم ، وتارة بالتوسل بهم إلى الله تعالى فى حياتهم وبعد مماتهم ؛ كما يمكن فى القدرة الإلهية .

ولا يقصد الناس بسؤالهم ذلك منهم قبل الموت وبعده ؛ بنسبتهم إلى الخلق والإيجاد والاستقلال بالأفعال ، فإنّ هذا لا يقصده مسلم ، ولا يخطر ببال أحدٍ من العوام ، فضلاً عن غيرهم .

فصرف الكلام إليه ومنعه ؛ من باب التلبيس فى الدين ، وتشويش على عوامٍ مُوحدين . وكيف يحكم بالكفر على من اعتقد ثبوت التصرف لهم فى حياتهم وبعد مماتهم ؛ حيث كان مرجع ذلك إلى قدرة الله تعالى خلقاً وإيجاداً ؟ ! كيف وكُتبُ جمهور المسلمين طافحةً به ، وأنه جائزٌ وواقع لا مرية فيه البتة ؛ حتى يكاد أن يلحق بالضروريات ، بل بالبيدهيات ؟ !

وذلك لأنّ جميع كرامات هذه الأمّة فى حياتهم وبعد مماتهم تصرفاً أو غيره ؛ من جملة معجزات النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم الدالة على نبوته وعموم رسالته الباقية بعد موته صلى الله عليه وعلى آله وسلم لا ينقطع دوامها ، ولا تجددتها بتجدد الكرامات فى كل عصر من

الأعصار إلى يوم القيامة» . انتهى .

ونقل البرماوى رحمه الله تعالى فى « الدلائل الواضحات فى إثبات الكرامات فى الحياة وبعد الممات » مما نصّ على ثبوتها بعد الممات ؛ شيخ الإسلام ابن الشّحنة الحنفى ، والشيخ عبد الباقي المقدسى فى « السيوف الصّقال » والشيخ أحمد [؟] الحنفى ، وعبارتهم كعبارة الشيخ أحمد الحموى . وزادوا : ولا ينكرها إلّا مخذولٌ فاسدُ الاعتقاد فى أولياء الله .

فهذا كما ترى فى الأولياء ، فما بالك بسيد الأنبياء صلى الله عليه وعلى آله وسلم وإمام الأولياء . فطلبُ الشفاعة منه والتوسل به صلى الله عليه وعلى آله وسلم جائز .

وقال الشيخ حسن الشّرنبلالى الحنفى فى «إمداد الفتاح » شرح كتابه « نور الإيضاح » من بحث الزيارة ، فذكر مثل ما ذكره الشيخ صاحب « الاختيار » والشيخ على القارىّ مما تقدم نقله من الطلب منه صلى الله عليه وعلى آله وسلم والتوسل به وطلب الشفاعة . فلا حاجة إلى إعادة العبارة ، فإنّ الحرّ تكفيه الإشارة .

وأما الأئمة الشافعية ؛ فقال الإمام النووى رحمه الله تعالى فى «الأذكار» ، و « المناسك » ، و « شرح المذهب » فى بحث الزيارة النبوية : « ثمّ يرجع إلى قبالة وجه النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم ويتوجه به فى حقّ نفسه ويستشفع به صلى الله عليه وعلى آله وسلم إلى ربه سبحانه وتعالى . ومن أحسن ما يقول ؛ ما ذكره أصحابنا عن العتبيّ مستحسنين له قال : كنتُ جالساً عند قبر النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، فجاء أعرابى فقال : السلام عليك يا رسول الله ، سمعت الله يقول : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ .. ﴾ الآية ، وقد جئتُك مُستغفراً من ذنبى ، مُستشفعاً بك إلى ربى » انتهى .

وقال البيهقي رحمه الله تعالى في « شعب الإيمان » : « ولا يُقَرَّبُ الملكُ من حضرته إلا من يرى أنه يصلح لآداب حضرته ، وهم عباده المقربون الصادقون الطاهرون الزاهدون المؤثرون المكرمون المطهرون ، ونحن الفقراء المساكين الناظرون إلى تحت أقدامهم بعين الفقر والمسكنة ، المتعلقون بأطراف أذيالهم ، راغبين بالضراعة في شفاعتهم ، لعل قلوبهم الرحيمة تنظر إلينا لرأفتهم ورحمتهم ؛ فيرانا مولانا في قلوبهم ؛ لأنهم مواضع نظره من الخلق ، فيرحمنا بنفحة من نفحاتهم ، وينفعنا بمحبتهم ... » إلى آخر كلامه .

وهذا كما ترى في سائر عباد الله الصالحين ، فكيف بشفاعة المرسلين ؟ لا سيما سيدهم على الإطلاق ، وفخر الأنبياء بالاتفاق .

وقال العلامة المجتهد سراج الدين البلقيني من بعض جواب سؤال رُفِعَ إليه فيمن قال في مدح النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ^(١) :

فاشفع لقائلها يا من شفاعته

تفكُّ من هو مكبوتٌ ومكبولٌ

فاعترضه مُعترضٌ بأنَّ السُّؤالَ للنبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم لم يرد .

فقال رحمه الله تعالى في الجواب : « الله الله ، لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، نعوذ بالله من الفتن ، ما ظهر منها وما بطن . لقد ارتكب هذا المُعترض قبائح أتى بها على أنها نصائح ، فجاءت عليه فضائح . لقد أخطأ وما أصاب ، وكثر به وبأمثاله المصاب ... »

إلى أن قال : ولقد جهل جهلاً قبيحاً بقوله ، فأما سؤال النبي صلى

(١) تقدم ذكر البيت منسوباً إلى الشيخ شبيب بن حمدان الحنبلي ، وهو ابن عم تقي الدين ابن تيمية .

الله عليه وعلى آله وسلم نفسه ؛ فكيف لا نسأله وهو وسيلتنا ووسيلة أبينا آدم من قبلنا إلى ربنا ، وقد سأله عكاشة وغيره من الصحابة رضى الله تعالى عنهم كما ثبت فى « الصحيح » .. إلى آخر كلامه .

وقال الإمام المجتهد شيخ الإسلام تقي الدين السبكي كما ذكره فى « شفاء السقام » ونقله المناوى وغيره فى « شرح الجامع الصغير » مانصه :

« وَيَحْسُنُ التَّوَسُّلُ وَالِاسْتِغَاثَةُ وَالتَّشْفَعُ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ إِلَى رَبِّهِ ، وَلَمْ يَنْكُرْ أَحَدٌ مِنَ السَّلَفِ وَالْخَلْفِ ذَلِكَ حَتَّى جَاءَ ابْنُ تَيْمِيَّةَ فَأَنْكَرَ ذَلِكَ وَعَدَلَ عَنِ الصَّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ ، وَابْتَدَعَ مَا لَمْ يَقْلَهُ عَالَمٌ قَبْلَهُ ، وَصَارَ بَيْنَ الْأَنَامِ مَثَلَةٌ .

وقال أيضاً : يجوز التوسل بسائر الصالحين ، والقول بالخصوص للنبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، قول بلا دليل » .

وقال العلامة القسطلانى رحمه الله تعالى شارح « البخارى » فى كتابه « المواهب اللدنية » : ويجوز الاستغاثة والتشفع والتوسل به صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، فجدير لمن استشفع به أن يشفعه الله ، فلا فرق بين أن يعبر بلفظ الاستغاثة أو التوسل أو التشفع أو التوجه ، فكل من هذه الأشياء واقعة منه صلى الله عليه وعلى آله وسلم كما ذكره فى « تحقيق النصرة »^(١) ، و« مصباح الظلام »^(٢) قبل خلقه وبعده ، فى حياته وبعد مماته فى مدة البرزخ ، وبعد البعث ، وفى عرصات القيامة ، ثم ذكر الأدلة على ذلك .

وقال فى هذا الكتاب فى بحث معجزاته صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « وأما القسم الثانى وهو ما وقع بعد وفاته ؛ فكثير جداً إذ فى كل

(١) « تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة » للإمام أبى بكر الراغى (ت ٨١٦هـ) .

(٢) « مصباح الظلام فى المستغيثين بخير الأنام فى اليقظة والنام » للإمام محمد بن موسى النعمانى المزالي المراكشي المتوفى سنة ٦٨٣هـ .

حين يقع لخواصّ أمته من خوارق العادات بسببه ممّا يدل على تعظيم قدره الشريف ما يُحصى من الاستغاثة به ، وغير ذلك ممّا يأتى فى المقصد الأخير فى أثناء الكلام على زيارة قبره الشريف المنير صلى الله عليه وعلى آله وسلم . انتهى .

وقال أيضا فى بحث الزيارة بعد ذكر الأدلة على حسن التوسل به صلى الله عليه وعلى آله وسلم والتشفع : فعليك أيها الطالب إدراك السعادة والمؤمل لحسن الحال فى عالم الغيب والشهادة ؛ بالتعلق بأذيال عطفه وكرمه ، والتطفّل على موائد نعمه ، والتوسل بجاهه الشريف ، والتشفع بقدره المئيف ، فهو الوسيلة إلى نيل المعالى ، واقتناص المرام ، والمفزع يوم الجزع ، واطلع لكافة الرسل الكرام ، واجعله أمامك فيما نزل بك من النوازل ، وإمامك فما تحاول من القرب والنازل ، فإنك تظفر من المراد بأقصاه ، وتدرّك رضا من أحاط بكل شىء علما وأحصاه .

وقال قبل هذه العبارة بقليل : « وأما التوسل به صلى الله عليه وعلى آله وسلم فى عرصات القيامة ؛ فمما قام عليه الإجماع وتواترت به الأخبار فى حديث الشفاعة » . انتهى .

وقال الحافظ جلال الدين السيوطى فى كتابه « المستقصى فى فضائل المسجد الأقصى » فى بحث زيارة الخليل عليه السلام مانصه : « ويقول الزائر : يا نبى الله ، إني متوجه بك إلى ربى فى حوائجى لتقضى لى ... إلى أن قال : ثم يتوجه إلى الله تعالى بجميع أنبيائه ، خصوصا بسيد الأولين والآخرين سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم » . انتهى .

وقال العلامة السمهودى فى « خلاصة الوفاء » : « وإذا جاز التوسل بالأعمال كما صحّ فى حديث الغار ، وهى مخلوقة ، فالسؤال به صلى الله

عليه وعلى آله وسلم أولى ، ولا فرق بين التعبير بالتوسل أو الاستغاثة أو التشفع ، أو التوجه به صلى الله عليه وعلى آله وسلم في الحاجة ، وقد يكون ذلك بمعنى طلب أن يدعو كما في حال الدنيا ، إذ هو غير ممتنع مع علمه صلى الله عليه وعلى آله وسلم بسؤال من سألته ...» .

ثم ذكر حديث عام الرمادة وغيره ، إلى آخر كلامه .

وقال في الزيارة من هذا الكتاب : « ثم يقول : يا رسول الله ، إن الله قال فيما أنزل عليك : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ ۖ ﴾ الآية ، وقد وفدت عليك زائراً ، وبك مستجيراً سائلاً منك أن تشفع لى إلى ربى ، فأنت شفيع المذنبين ، الوجيه المقبول عند رب العالمين ، وها أنا مُعترف بذنبى ، متوسل بك إلى ربى ، أتشفع بك إليه لعله يرحم عبده وإن أساء ، ويعفو عما جنى ، ويعصمه ما بقى فى الدنيا ببركاتك وشفاعتك ، يا خاتم النبيين وشفيع المذنبين .

أنت الشفيع وآمالى معلقة

وقد رجوتك يا ذا الفضل تشفع لى

هذا نزيلك أضحى لا ملاذ له

إلا جنابك يا سؤلى ويا أملى

انتهى .

وقال العلامة ابن حجر الهيتمى فى كتابه « الجوهر المنظم فى زيارة القبر المعظم » : « وبالجمله ؛ إطلاق لفظ استغاثة لمن يحصل منه غوث ولو نبيا كسبا أمر معلوم لا شك فيه لغةً وشرعاً ، فلا فرق بينه وبين السؤال ، ولا سيما مع ما نقل فى حديث « البخارى » فى الشفاعة يوم القيامة : « فينما هم كذلك ؛ استغاثوا بآدم ، ثم موسى ، ثم محمد صلى الله عليه

وعلى آله وسلم .

وقد يكون التوسل به طلب الدعاء منه ؛ إذ هو صلى الله عليه وعلى آله وسلم حيٌّ يعلم من يسأله ، وقد صحَّ في حديث طويل أنَّ الناس أصابهم قحط زمن عمر رضى الله تعالى عنه ، فجاء رجل إلى قبر النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم وقال : يا رسول الله ، استسق لأمتك فإنهم قد هلكوا . . . إلى آخر كلامه .

ومثله في « حاشية الإيضاح » له ، و« مناسكه » .

وقال الشهاب الرملى ما نصه : « الاستغاثة بالأنبياء والمرسلين والأولياء والصالحين ؛ جائزة ، وللأنبياء والمرسلين والعلماء والصالحين إغاثة بعد موتهم ، لأنَّ معجزة الأنبياء وكرامة الأولياء لا تنقطع بموتهم » . انتهى

وقال الخطيب الشربيني ، والرملى الصغير فى « المناسك » كما ذكر النووى رحمه الله تعالى فيما تقدم من طلب الشفاعة منه صلى الله عليه وعلى آله وسلم والتوسل به ، وأنه من المستحبات .

وقال الشوبرى محشى « شرح المنهاج » فى جواب سؤال رفع له :

« ويجوز التوسل إلى الله تعالى والاستغاثة بالأنبياء والمرسلين والعلماء والصالحين بعد موتهم ، لأنَّ معجزة الأنبياء وكرامة الأولياء لا تنقطع بموتهم ، وأما الأنبياء فلأنهم أحياء فى قبورهم يصلون ويحجون ، كما وردت الأخبار » . انتهى .

قال المناوى رحمه الله فى « مناسكه » التى على المذاهب الأربعة :

« ويتوسل بالمصطفى صلى الله عليه وعلى آله وسلم لنفسه وليستشفع به إلى ربه » . انتهى .

وأما الفقهاء المالكية ؛ فقد نقل القاضى عياض فى « الشفاء » عن إمام دار الهجرة رحمه الله تعالى : « أنه قال لأبى جعفر المنصور لما سأله عن استقبال القبر حين الدعاء ، فقال الإمام مالك له : ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبىك آدم من قبلك ؟ ، بل استقبله واستشفع به فيشفعك الله » . انتهى .

ومعنى « استشفع به » أى : اطلب منه الشفاعة .

وقال ابن الحاج المالكى فى كتابه « المدخل » : « وأما عظيم جناب الأنبياء والرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، فيأتى إليهم الزائر فيتوسل إلى الله تعالى فى قضاء مآربه ، ومغفرة ذنوبه ، ويستغيث بهم ويطلب حوائجه منهم ، ويجزم بالإجابة ببركتهم ، ويقوى حسن ظنه فى ذلك وأنهم باب الله المفتوح .

وجرت سنة الله بقضاء الحوائج على أيديهم وبسببهم ، ومن عجز عن الوصول إليهم ؛ فليرسل بالسلام عليهم ، ويذكر ما يحتاجه إليه من حوائجه وغفر ذنوبه وستر عيوبه ، إلى غير ذلك ، فإنهم السادة الكرام ، والكرام لا يردون من سألهم ولا من توسل بهم ، ولا من لجأ إليهم .

هذا فى زيارة سائر الأنبياء والمرسلين ، وأما فى زيارة نبينا صلى الله عليه وعلى آله وسلم سيد الأولين والآخرين ؛ فيزيد على ذلك أضعافا مضاعفة ، لأنه الشافع المشفع الذى لا ترد شفاعته ، ولا يخيب من قصده ولا من نزل بساحته ، ولا من استعانه أو استغاث به ؛ لما شهدت به المعاينة والآثار .

ثم ذكر حديث « الصحيحين » : « إنما مثلى ومثلكم ، كمثلى القراش تقعون فى النار وأنا آخذ بحجزكم » دليل على استحباب التوسل والاستغاثة به ، فإن الدليل عام ولا يختص بزمان دون زمان ، كما لا يختص

بشخص دون شخص» ، انتهى .

وقال العلامة أبو عبد الله ابن النعمان المالكي رحمه الله تعالى في كتابه «مصباح الظلام في المستغيثين بخير الأنام» : «إن الاستغاثة والتوسل والتشفع والتوجه بالنبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم واقع كل حال قبل خلقه وبعد خلقه ، في مدة حياته وبعد موته ، في البرزخ ، وفي عرصات القيامة» .

وذكر من ذلك جملة صالحة ، وهو كتاب نفيس ، عشرين كراساً فيما رأيته .

وذكر أبو داود المالكي في كتابه «البيان والانتصار» شيئاً كثيراً مما وقع للعلماء والصلحاء من الشدائد ؛ فالتجأوا إلى النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم فحصل لهم الفرج بإذن الله تعالى .

وقال الشيخ المحدث ابن أبي جمرة المالكي مختصر البخاري وشارحه : «لما دخلت مسجد المدينة ، ما جلست إلا الجلوس للصلاة ، وما زلت واقفاً هناك حتى رحل الركب ، ولم أخرج للبقيع ولا غيره ، ولم أر غيره صلى الله عليه وعلى آله وسلم . وقد خطر لي أن أخرج إلى البقيع ، فقلت : إلى أين أذهب ! هذا باب الله المفتوح للسائلين والطالبين ، والمنكسرين والمضطرين ، والفقراء والمساكين ، وليس ثم من يقصد مثله» ، انتهى . يعني النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم .

وقال العلامة الفيشي المالكي رحمه الله تعالى في «شرح العزية» نقلاً عن الشيخ خليل صاحب «المختصر» المشهور في مذهب مالك رحمه الله تعالى في «منسكه» عن القابسي ، وأبي بكر بن عبد الرحمن وغيرهما .

قال : «تأتي القبر وأنت متصف بكثرة الذلّ والسكينة والانسكار والفقر والفاقة والاضطرار والخضوع ، وتشعر نفسك أنك واقف بين يديه

عليه الصلاة والسلام ، إذ لا فرق بين حياته ومماته ، وقد ورد أن أعمال أمته تعرض عليه غدوة وعشية ، فيعرفهم بسيماهم وأعمالهم . وليتوسل به صلى الله عليه وعلى آله وسلم ويسأل الله بجاهه ، إذ هو محط جبال الأوزار وأثقال الذنوب ، لأن بركة شفاعته وعظمها عند ربه لا يتعاضدها ذنب . ومن اعتقد خلاف ذلك ؛ فهو المحروم الذي أطمس الله بصيرته ، وأضل سريرته .

ألم ير قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴾ ؟ ! انتهى
فهؤلاء الذين نقلنا عنهم من أئمة المذاهب الأربعة هم عمدة أهل كل مذهب ، وغيرهم مثلهم ، ولكننا لو أردنا أن ننقل كل من ذكر ، لضاق النطاق ونفدت الأوراق . وهؤلاء هم فقهاء المذاهب ونقلة الدين ، والناس عنهم أخذوا أقوال أئمتهم من المذاهب .

وقد قال الذهبي عن شيخه ابن تيمية في « مختصر منهاج الاعتدال » :

« إن جميع أرباب الفنون يجوز عليهم الخطأ إلا الفقهاء والمحدثون فلا هؤلاء يجوز عليهم الاتفاق على مسألة باطلة ، ولا يجوز على هؤلاء التصديق بكذب ، ولا التكذيب بصدق » انتهى .

وهؤلاء الخوارج جعلوا رأس مالهم الطعن في نقلة الدين وسوء الظن بهم وعدم الرضا بأقوالهم المخالفة لهواهم . فإن كانوا عندك مرضيين أيها المعترض ؛ فيها ونعمت ، وإلا فأنت مدع لك رتبة لا تسلم لك أو تموت فيقال لك : من أين أخذت علمك هذا ؟ فإن كان عن الله ورسوله وما أظن هؤلاء عدلوا عنه ؛ وإن حظيت به أو جهلوه وأنت علمته ، فقد قدمنا لك من الآيات والأحاديث والآثار ما هو رد عليك ، إذ يكفي ورود ذلك حجة عليك

ودلالة ظاهرة للأمة الحمديّة .

هذا مع قطع النظر عن إجماعهم، فإن ادعيت أن الإجماع [معك]؛ فأتينا بدليل واحد، وقول واحد من خالف ما ذكرته من هؤلاء الأمة .

فإن كنت تقول: إن ابن تيمية خالف الإجماع، فيقال لك: قد تقدم أن الشيخ ابن تيمية لم يخالف في طلب الشفاعة منه صلى الله عليه وعلى آله وسلم، بل قال في فتياه:

وأما أن يطلب من النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ما هو اللائق بمنصبه، فالمنكر لهذا إما كافر أو ضال . وقد قرر أن الشفاعة من منصبه فطلبها وطلب غيرها مما يقدر عليها المخلوق جائز، وإنما حرّم ما لا يقدر عليه إلا الله، كغفران الذنوب وإنزال الغيث، وإنبات النبات، وهذا مع كونه لا يقصده مسلم، فقد قال الشيخ أن الذي يقصده يُعذر إذا كان مجتهداً أو مقلداً أو جاهلاً، أو له شبهة أو غير ذلك مما قيده الشيخ في جميع كتبه.

ولو فرضنا أن ابن تيمية قال كما تقول من أنه شركٌ مخرجٌ عن الملة. مع أنه لم يقله والله أبداً، فلا يلزم الناس الأخذ بقوله وترك أقوال جميع العلماء من الأمة، وترك الآيات والأحاديث الصحيحة الصريحة وأقوال السلف .

فقد قال هو وتلميذه ابن القيم: «من ألزم الناس بمذهبٍ معينٍ أو بقول عالم واحد وترك غيره، يُستتاب، فإن تاب وإلا قتل» .

وقال في «الفرقان»: «والناس في هذا الباب ثلاثة أصناف، منهم من إذا اعتقد بشخص أنه وليُّ الله؛ وافقه في كل ما يظن أنه حدث به قلبه عن ربه، وسلم له جميع ما يفعله، ومنهم من إذا رآه قد قال أو فعل ما

ليس بموافق للشرع ؛ أخرجه عن ولاية الله بالكلية وإن كان مجتهدا مخطئاً ، وخير الأمور أوسطها ، وهو أن لا يُجعل معصوما ولا مأثوما إذا كان مجتهدا مخطئاً ، وإذا خالف الشخص قول بعض الفقهاء ووافق قول آخرين ؛ لم يكن لأحد أن يلزمه قول المخالف ، ويقول : هو خالف الشرع . انتهى .

هذا ، والمشتكى إلى الله تعالى من زمان صار أهله يروج عليهم قول مثل هذا الأعرابي الذي لا يعرف البناء من الإعراب ، ولا يميز بين القشر واللّبَاب ، وأعظم من ذلك أنه يدّعي درجة الاجتهاد ، وهو لم يتقن ألفاظ كتاب الله فضلاً عن معانيه ، ولا يفهم عبارة الفقهاء الأكابر ، ولا يطلع على أقوال الأئمة الأفاخر .

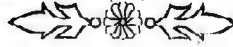
بل قُصارى أمره جموده على كلمات لبعض أسلافه كان مخموراً بحجى جهله وسُلافه . فكلامه عنده كوحى الكتاب ، وحديثه هو الحديث المستطاب ، فاتفق له أتباع رِعَاعٌ يتبعون مثل هذا الناق ، فكلُّ لما يقوله يعتقد أنه للحق مطابقٌ ، مع أن كلامه لو حققته كهذيان ذى حمى مُطَبقة ، وأتباعه مثله فوافق شنُّ طبقة .

وليس بعجب تكفير هذا الجاهل لصاحب « الردة » ، فإنه كفر الصحابة الكرام فى قولهم : اجعل لنا ذات أنواط ، وحكم عليهم بالردّة ، إلا أنه اعتذر عنهم بأن من تكلم بكلمة كفر ثم نيه فتنبه ، فكان التنبيه لكفرهم حائط ، فكان العذر أعظم من الذنب ، كمن غسل بالبول الغائط ، فعياًذا بك اللهم من هذا الداء العضال ، وضراعة إليك من سبيل هؤلاء الطغام الجهال .

اللهم ارزقنا حبك وحب من يحبك ، وحب عمل يقربنا إلى حبك ، ولا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين ولا أقل من ذلك يانعم الجيب ، وارحمنا بوسيلة حبيبك الأعظم ورسولك المفخم صلى الله عليه وعلى آله وسلم ،

واجعلنا من المتبعين لسنته العاملين بسنته ، وأخسأ الحاطين من قدره
بسفاسفهم الحاطين أعمالهم بالغض من مقامه الشريف من وساوسهم ،
فلا تظهر اللهم لهم ظاهرة ، وخيبهم إن لم يرجعوا عن ذلك في الدنيا
والآخرة .

فقطع دابر القوم الذين ظلموا ، والحمد لله رب العالمين ، وصلى
الله على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين ، وعلى آله وصحبه الغر
الميامين ، واختم لنا بحسن الختام ، آمين آمين آمين ..



• آخر ما ورد بالنسخة الخطية •

قد فرغ منها مؤلفها الشيخ الكامل ، والنحرير الفاضل ، العارف بالله والدال عليه ، الجامع بين الشريعة والحقيقة ، مولانا السيد الشيخ داود أفندي النقشبندی الخالدي ، أمدنا الله تعالى بإمداده ، وأفاض علينا وعلى المسلمين فيض وداده .

كان الفراغ من تصنيف هذه الرسالة على قوله - سلمه الله تعالى - في اليوم العشرين خلت من شهر شوال المكرم ، إحدى شهور سنة ألف ومئتين وتسعة وستين هجرية على مهاجرها أفضل الصلاة وأكمل التحية .

وقد فرغت من نقلها في اليوم الرابع عشر خلت من شهر ربيع الثاني إحدى شهور سنة الألف ومئتين وثلاثة وتسعين هجرية في بلدة «أورنكباد» من مضافات سلطنة حيدرآباد الدكن من ألوكة الهندستان مع كثرة التشويش القلبي ، والحزن على مفارقة الأوطان والإخوان ، ولقد صدق الصادق المصدوق : « حب الأوطان من الإيمان » .

والله المسئول أن يرجعني لوطني سالماً غانماً فرحاً مسروراً ، ويجمع شملى بعد هذا الفراق ، إنه الكريم الرزاق .

وأنا الفقير إلى عزته المفتقر إلى رحمته جل جلاله السيد عبد الرزاق النقشبندی الخالدي البغدادی غفر الله تعالى له بمنه وكرمه . آمين .



■ فهرست المراجع ■

- الأعلام للزركلى، دار العلم للملايين، بيروت.
- الدرر الكامنة فى أعيان المئة الثامنة لابن حجر العسقلانى، دار إحياء التراث العربى، بيروت.
- حلية البشر فى تاريخ القرن الثالث عشر، للبيطار، مجمع اللغة العربية، دمشق.
- عمل اليوم والليلة لابن السنى، دار القبلة، جدة.
- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع للسخاوى، مكتبة الحياة، بيروت.
- طبقات الشافعية الكبرى للسبكى، (بدون).
- مجموع الفتاوى لابن تيمية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، بالمدينة المنورة.
- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين لابن القيم دار الكتب العلمية، بيروت.
- مصباح الظلام فى المستغيثين بخير الأنام فى اليقظة والنام لابن النعمان المراكشى، (مخطوط).
- معجم المطبوعات العربية لسركيس، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة.
- المنح المكية فى شرح الهمزية لابن حجر الهيتمى، دار المنهاج، بيروت.
- هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، للبغدادى، دار الكتب العلمية، بيروت.



• فهرست مصادر المؤلف •

- ابن أبي شيبّة - مصنف ابن أبي شيبّة .
- الإقناع
- إظهار صدق المودة في شرح البردة = شرح ابن مرزوق
- الاستيعاب لما في البردة من المعاني والبيان والبديع والإعراب - شرح ابن مرزوق .
- الانتصار لثقي الدين ابن تيمية .
- إمداد الفتاح شرح نور الإيضاح للشربلالي .
- اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية .
- الأذكار النووية .
- الاختيار لعلاء الدين الجمالي - شرح المختار
- الأنوار المضية في مدح خير البرية - تعليق لطيف - شرح الجلال المحلى للبردة .
- إنسان العيون في سير الأمين المأمون للحلبي - السيرة الحلبيّة .
- البردة - الكواكب الدرية في مدح خير البرية للبوصيري .
- البدعة لابن القيم
- البيان والانتصار أبو سليمان داود المالكي .
- تسبيح البردة - الكواكب الدرية تسبيح البردة البوصيرية في مدح خير البرية للبيضاوى .
- تعليق لطيف على بردة المديح - شرح الجلال المحلى للبردة .
- تفسير البيضاوى - أنوار التنزيل .
- تفسير البغوى - معالم التنزيل .
- تلخيص المستدرك للذهبي .
- تاريخ ابن عساكر - تاريخ دمشق .

- توثيق عرَى الإيمان بتفضيل حبيب الرحمن للبارزى الحموى .
- تاريخ حلب - بغية الطلب فى تاريخ حلب لابن العديم .
- تاريخ ابن جرير - تاريخ الأمم والملوك .
- تاريخ ابن الأثير - الكامل فى التاريخ .
- تحقيق النصر بتلخيص معالم دار الهجرة للمراغى .
- الجامع الصحيح للترمذى .
- الجامع الصحيح للبخارى .
- الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير للسيوطى .
- الجوهر المنظم فى زيارة القبر الشريف المكرم لابن حجر الهيتمى .
- حاشية مشكاة المصابيح للطيبى .
- حاشية المدابغى على شرح الأربعين النووية لابن حجر الهيتمى .
- حاشية الإيضاح لابن حجر الهيتمى .
- حاشية الزاد للعقيلى .
- الحصن الحصين للجزرى .
- خواص البردة للمراكشى .
- خلاصة الوفا للسهمودى .
- دلائل النبوة للبيهقى .
- الدارمى - سنن الدارمى .
- الدرر المضية فى الزيارة المصطفوية لملا على القارى .
- الدلائل الواضحات فى إثبات الكرامات فى الحياة وبعد الممات للبرماوى .
- الروح لابن القيم .
- الرعاية الكبرى لابن حمدان .
- الرايتين للحنبلى .
- ريحانة الألباب للخفاجى .

- زاد المستقنع
- الزبدة الرائقة فى شرح البردة الفائقة لزكريا الأنصارى.
- الزبدة فى شرح قصيدة البردة للأزهرى
- السيرة لابن إسحاق
- السيرة الحلبية - إنسان العيون فى سيرة الأئمين المأمون للبرهانى الحلبي
- سنن الترمذى - الجامع الصحيح.
- سنن الدارمى
- سنن النسائى
- السيوف الصقال للمقدسى .
- شرح ابن مرزوق للبردة (الكبير) - إظهار صدق المودة فى شرح البردة
- شرح ابن مرزوق للبردة (الصغير) - الاستيعاب لما فى البردة من المعانى والبيان والبديع والاعراب .
- شرح الجلال المحلى للبردة - تعليق لطيف على بردة المديح.
- شرح زكريا الأنصارى للبردة - الزبدة الفائقة فى شرح البردة الفائقة .
- شرح القسطلانى للبردة - مشارق الأنوار المضية فى شرح الكواكب الدرية .
- شرح السعد التفتازانى للبردة .
- شرح خالد الأزهرى - الزبدة فى شرح قصيدة البردة .
- شرح شيخ زاده للبردة .
- شرح العبرينى للبردة .
- شرح الخادمى للبردة - نشر الكواكب الدرية .
- شرح خواص البردة للمراكشى - خواص البردة .
- شرح الأربعين النووية لابن رجب
- شرح مسلم للنووى
- شرح مسلم للقاضى عياض

- شرح المشكاة لملا على القارى - مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح .
- شرح الإقناع .
- شرح الجامع الصغير (الكبير) للمناوى = فيض القدير .
- شرح الشفا للخفاجى - نسيم الرياض
- شرح مختصر صحيح البخارى لابن أبى جمرة
- شرح مختصر البخارى للأجهورى .
- شرح الحصن الحصين للملا على القارى
- شرح الصدور بأحوال أهل القبور للسيوطى .
- شرح المختار - الاختيار .
- شرح المذهب - المجموع شرح المذهب للنووى
- شرح المنهاج للشورى
- شرح العزىة للفيشى .
- شرح الهمزية - المنح المكىة فى شرح الهمزية لابن حجر الهيتمى .
- الشرح الكبير لابن قدامة المقدسى .
- شفاء السقام بزيارة خير الأنام للسبكى .
- الشفا بتعريف حقوق المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم للقاضى عياض
- شذرات الذهب للحنبللى .
- شعب الإيمان للبيهقى .
- صحيح البخارى - الجامع الصحيح .
- صحيح مسلم .
- صحيح ابن عوانه .
- الصارم المنكى فى الرد على السبكى لابن عبد الهادى .
- صفة الصفوة لابن الجوزى .
- العدة فى كل شدة لأبى البقاء الحنفى .
- طبقات الحنابلة لابن رجب .

- الغنية للجيلاني .
- الفتاوى الخيرية للرملی .
- الفتاوى لابن تيمية - مجموع الفتاوى .
- فتاوى النووى .
- الفرقان بين أولياء الشيطان وأولياء الرحمن لابن تيمية .
- الفروع لابن مفلح الحنبلى .
- القاموس المحيط للفيروزأبادى .
- كشف الشبهات لمحمد بن عبد الوهاب .
- الكلم الطيب لابن تيمية .
- الكلم الطيب لابن القيم .
- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح للملا على القارى
- المدخل لابن الحاج
- مختصر خليل .
- المبدع شرح زاد المستقنع .
- مثير الغرام الساكن لابن الجوزى .
- مسند الإمام احمد .
- مسند البزار - البحر الزخار
- المستوعب للسامرى .
- المستقصى فى فضائل المسجد الأقصى للسيوطى .
- المستدرك للحاكم .
- مصباح الظلام فى المستغيثين بخير الأنام فى اليقظة والمنام لابن النعمان .
- مصنف ابن أبى شيبة .
- مشكاة المصابيح للتبريزى .
- معتقد الإمام أبى عبد الله .

- معيد النعم ومبيد النقم للسبكي .
- معجم الدمياطي .
- معجم الطبراني .
- المغني لابن قدامة المقدسي .
- مغني ذوى الأفهام لابن عبد الهادى الحنبلي .
- منسك الإمام أحمد .
- منسك الشيخ سليمان بن على
- منسك الطرابلسي .
- منسك الكرمانى .
- منسك الفارسي .
- منسك خليل المالكي .
- مناسك النووى .
- مناسك المناوى .
- مناسك ابن حجر الهيتمي .
- المواهب اللدنية بالمنح المحمدية للقسطلانى .
- نور الإيضاح للشرنبلالى .
- نفحات القرب والاتصال للحموى .
- الهمزية - أم القرى للبوصيرى .
- وفاء الوفا بأخبار دارالمصطفى صلى الله عليه وآله وسلم للسمهودى .
- الوفا فى فضائل المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم لابن الجوزى .



• فهرست العام لموضوعات الكتاب •

الصفحة	الموضوع
٣	كلمة الناشر
٧	نموذج النسخة الخطية
٩	مقدمة المحقق
١٣	ترجمة المصنف
١٥	مقدمة المؤلف
١٧	التعريف بالبوصيري ونقل كلام الإمام ابن حجر الهيتمي من شرحه على الهمزية
١٩	نقل المصنف لطريق رواية قصيدة البردة من كلام الهيتمي
٢٠	فائدة في ذكر من شرح هذه القصيدة من كبار العلماء
٢١	ذكر أشهر من سبّع هذه القصيدة
٢١	استفهام المصنف عن القول بوجود شرك في القصيدة وعدم تنبيه العلماء عليه
٢٢	بيان المصنف لصفة من كفر الأمة وأصل التكفير، وجواب ابن تيمية عنه
٢٣	نقل كلام الإمام ابن رجب الحنبلي في ذلك من شرحه على الأربعين النووية
٢٤	ذكر المصنف غل الاعتراض من المعترض على أصل القصيدة والتشطير
٢٦	بيان المصنف بطلان الاعتراض من وجوه
٣٠	بيان المصنف المراد من قوله: أو شافعالى مما قد جنيت غدا
٣٠	ذكر المصنف لأقسام شفاعته صلى الله عليه وآله وسلم يوم القيامة
٣٢	بيان المصنف المراد من قوله: ومنقذى من عذاب الله والألم
٣٣	ذكر جواب المصنف على قول: إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم فهم عدم نسبة الإنقاذ إليه مطلقا
٣٤	بيان المصنف أن كل من هداه النبي صلى الله عليه وآله وسلم للإسلام، أو اهتدى به إلى يوم القيامة فقد أنقذه
٣٥	ذكر المصنف لما قال سيدنا حسان بن ثابت رضى الله تعالى عنه يرثى النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعد موته
٣٦	بيان المصنف ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم أخبر أنه الشافع المشفع، وأن من أنكر ذلك فهو من الخوارج والمعتزلة
٣٧	نقل المصنف ما أورده الإمام النووي في شرحه على « صحيح مسلم » عن القاضى عياض فى جواز الشفاعة عقلا ووجوبها سماعا

الصفحة	الموضوع
٣٨	بيان المصنف لسبب نزول آية : ﴿ ليس لك من الأمر شيء ﴾ وإبطال الاستدلال بها للمعترض
٣٨	بيان المصنف لمعنى قوله صلى الله عليه وآله وسلم لقرايته : لا أغنى عنكم من الله شيئاً
٤٠	بيان المصنف لفساد اعتراض المعترض على قول البوصيرى : فإن من جودك الدنيا وضررتها
٤٢	بيان أن أم الكتاب غير اللوح
٤٢	بيان أن استدلال المعترض بقوله : « قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله ومحمد... » في غير محله
٤٣	معرفة الرسل للغيب ليس استقلالاً عن الله
٤٧	نقل المصنف لكلام العلماء في مسألة علم الغيب
٥٢	نقل المصنف لكلام ابن تيمية في علم المكاشفة
٥٣	بيان المصنف لسوء فهم المعترض قول البوصيرى : يا أكرم الخلق... وتوضيح مقصوده
٥٥	بيان معنى قول البوصيرى : يا أكرم الخلق
٥٦	ذكر الدليل على أن النداء والطلب من الأموات ليس بعبادة
٥٦	ذكر الدليل الأول
٥٦	ذكر الدليل الثاني
٥٧	ذكر الدليل الثالث
٥٨	ذكر الدليل الرابع
٥٩	ذكر الدليل الخامس
٥٩	بيان المصنف لدلالة النبوة في حديث الأعمى وقول العلماء في ذلك
٦١	ذكر الدليل على أن حديث الأعمى عام
٦٢	ذكر الدليل السادس على جواز الطلب والمناداة للموتى الغائبين
٦٢	بيان المصنف لكذب المعترض أن النداء الوارد في قول المنادي : يا عباد الله
٦٢	نداء الحاضر
٦٣	ذكر الدليل السابع
٦٤	ذكر الدليل الثامن
٦٥	ذكر الدليل التاسع
٦٥	بيان المصنف قبول الأئمة لأثر العتبي ، وقول ابن تيمية في ذلك
٦٦	ذكر الدليل العاشر

الصفحة	الموضوع
٦٧	ذكر الدليل الحادى عشر
٦٧	ذكر الدليل الثانى عشر
٦٨	ذكر الدليل الثالث عشر
٦٩	ذكر الدليل الرابع عشر
٧٠	بيان الألفاظ التى صدرت فى زمانه صلى الله عليه وآله وسلم مما فيها حصر الشفاعة به
٧٣	ذكر ما أورده ابن القيم تلميذ ابن تيمية من حكايات توسل بعضهم بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم
٧٦	أقوال العلماء فى مشروعية ندائه وطلب الشفاعة منه صلى الله عليه وآله وسلم
٨١	بيان المصنف لتحريف المعارض لنصوص نقلها عن ابن تيمية
٨٩	ذكر نصوص الأئمة الحنفية فى هذه المسألة
٩٢	ذكر نصوص الأئمة الشافعية فى هذه المسألة
٩٨	ذكر نصوص الأئمة المالكية فى هذه المسألة
١٠٤	آخر ما ورد بالمخطوط
١٠٥	فهرست المراجع
١٠٦	فهرست مصادر المؤلف
١١٢	الفهرست العام لموضوعات الكتاب

رقم الإيداع

٢٠٠٤/٧٠٠١

الترقيم الدولى

I-S-B-N

977-5259-80-0



ش ٣٠ السيد الدواخلى امام باب جامعة الأزهر
ت ٥٨٨٩٧٥٠٠١

الناشر
دار جوامع الكلم

١٧ شارع الشيخ صالح الجعفري
الدراسة - القاهرة ت : ٥٨٩٨٠٢٩